

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد ـ القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشاً سنوياً
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٣٨ ـ الخميس ١٩ رجب ١٣٨٣ هـ ـ ٥ ديسمبر ١٩٦٣ م ... السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

علة المسلمين أنهم غير مسلمين

بقلم : أحمد حسن الزيات

اذا علمت أن **الاسلام** هو الصورة الكاملة لشرائع الله ، والقوة المهذبة لغرائز الانسان ، وأن شارعه الاكرم • وهو فاطر الارض وواهب الحياة ومنزل الوحي ، قد وضع فيه أسس القواعد التي تكفل للعالم نظامه وسلامته ، وللمجتمع وحدته وقوته ، **وللفرد حريته وكرامته** ، مهما يتطاول الأمد وتتغير الحال . **وأن رسوله الأعظم** قد أعلن في أوائل القرن السابع حقوق الانسان وحرياته ، ثم جعل في عشر سنين من الرعاة الجفاة المشتتين على رمال القفر امة متماسكة الاجزاء متحدة الاهواء متساندة القوى متجانسة الطباع بلغت رسالة الله وحكمت عامر الارض ومدنت أكثر العالم ، وأن خلفاءه وقواده بلغوا بفتوح الجيش وفتوح الدين وفتوح العلم وفتوح الخلق من السلطان والعمران ما لم تبلغه امة من قبل •

اذا علمت ذلك ثم رأيت مواطن العروبة والاسلام من أقصى الشرق الى أقصى الغرب قد كانت كلها الى وقت قريب نهبا مقسما بين دول الاستعمار يتنازعون فيه ويتقاتلون عليه وليس من أهلها من يقول فيسمع قوله أو يفعل فيخشى فعله ، وانما كانوا أشياء كثروة الارض ، ربح للغالب وخسارة على المغلوب •

اذا علمت ذلك ورأيت عددا حرث بين الرواية والرؤية وسألت نفسك : أليس هذا هو الدين الذي أكمله الله لنبيه ورضيه لخلقه ونسبه الى نفسه وجعله

مصدر الخير المحض ومظهر الكمال المطلق وسبيل الغاية التي يجد عندها ابن آدم المكدود المجهود نفسا من كربه وراحة من تعبه وسكينة من اضطرابه ..
تلك الغاية التي كان يراها منذ هبط العاصي من الجنة حدا لشقائه ونهاية لألمه ، فكان يتشوف اليها من وراء الغيوب ومن خلال القرون فلا يراها ، لا في الحروب التي شن ، ولا في النظم التي سن ، ولا في الشرائع التي اعتقد ، حتى أراد الله للاغب الضال أن يستشرفه ويهتدي فكان محمد هو المنار ، وكان الاسلام هو المرفأ !

بلى ، هذا هو الدين الذي جعل الارض سماء والشدة رخاء والعداوة اخاء واليأس رجاء والحياة نعمة . لم يغيره الزمن ولم تجافه الطبيعة ولم يعاده العلم ولم تنسخه المذاهب لانه من صنع الله . انما غير الزمن المسلمين لانهم بشر يجوز عليهم النقص والفساد والضعف والغفلة . فحال الاسلام معهم حال النور الساطع في الزجاجة القاتمة ، او الشراب الصافي في الاناء القذر ، أو هي الحال التي قال فيها الرسول صلوات الله عليه : **« مثل ما بعثني به الله من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضا ، كان منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجادب امسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا . وأصاب طائفة منها اخرى ، انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ » .**

والمسلمون اليوم هم هذه القيعان ، تحدرت الى ما ركد فيها من سلسل الوحي عكارات المذاهب الطارئة ، ورواسب العقائد الخاطئة ، فكان منها ذلك الخلط العجيب الذي يعوق عن السعي ، ويمنع من النظر ويصد عن الفكر ، فاصبحت غاية الدين في رأيهم مظاهر من العبادة لا تخدع ، وظواهر من البدع لا تنفع ، واقاويل من الوعظ لا تفيد .

من يصدق أن المسلمين اليوم يؤمنون بالله وقد قال لهم في محكم كتابه الكريم : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ، فيجعلون أمره ونهيه دبر آذانهم ، ووراء ايمانهم ، ويعودون الى عصبية الجاهلية فيفرقون كلمتهم ويوزعون قوتهم بين الحزبية والاقليمية والطائفية والعنصرية حتى كان في كل قطعة من الوطن الأكبر رأي يخالفه رأي ، وسيف يقابله سيف ، وغاية تعارضها غاية . وانقسمت زعامة محمد الى زعامات شتى أعوزها السطوع والقوة فأصبحت كالشعلة الوهاجة تقطعت أقباسا كشموع الاطفال لا تقوى شمعة منها على نسم الريح ولا تفيء في حلك الليل .

من يصدق أن المسلمين اليوم يفقهون القرآن حق الفقه وهو الكتاب المبين الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويهديهم الى صراط مستقيم ، وكل انتفاعهم منه أن يحملوه للحفظ كما تحمل التمائم ، وأن يقرأوه للبركة كما تقرأ الاوراد ، وأن ينشدوه للطرب كما تنشد الاغاني !؟

من يصدق أن المسلمين اليوم يقدرون الرسل حق قدره وهو الذي قال فيه أصدق القائلين :

« وانك لعلى خلق عظيم » « وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيما » ، وهم يفترون عليه الكذب ، وينسبون اليه مالا ينبغي من القول والفعل . وكل ما يمدحونه به ان يرفع المؤذن عقيرته بعد الأذان بقوله : الصلاة والسلام عليك يا (مليح الوجه) وأن يتغنى منشد سيرته المطهرة بحمرة خديه وسواد عينيه ، كأن الصباحة والوسامة والرواء هي كل ما يمتاز به محمد نبي التوحيد والوحدة . ورسول السلام والمحبة ، وداعي الحرية والكرامة . وكانوا قد درجوا على ذلك طويلا حتى تولى وزارة الاوقاف الاستاذ الباقوري ففصل السلام المبتدع عن الأذان المسنون ولقن المؤذنين العبارة اللائقة بمقام الرسول.

وفي الادب المأثور أن عبد الملك بن مروان أنف أن يمدحه ابن قيس الرقيات بقوله :

يأتلق التاج فوق مفرقه
على جبين كأنه الذهب

فقال له : وماذا من الفضل في تألق التاج ونصاعة الجبين ؟ هلا مدحتني بمثل ما مدحت به مصعب ابن الزبير اذ تقول فيه :

انما مصعب شهاب من الله
تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عزة ليس فيه
جبروت منه ولا كبرياء

ثم حرمه عطاءه العمر كله . والفرق بين فضل الرسول وفضل الخليفة كالفرق بين الجبل والحصاة او بين الشمس والشرارة !

كاتب وكتاب

للدكتور محمد أحمد خلف الله

قسطنطين زريق — السورى المنشأ ، اللبنانى المسكن والاقامة ، معروف غير منكور . يعرفه كل أولئك الذين درسوا فى الجامعات السورية واللبنانية — يعرفونه على انه استاذ لايشق له غبار فى تكوين العقل ، وتنمية الروح ، وتهذيب الخلق . انه فى عرفهم **استاذ ، مهيب ، جليل ، وقور .** يوحى بسلوكه الشخصي وقيمه الثقافية والخلقية كما يوحى **بعلمه ومعرفته وتجربته الشخصية سواء بسواء .**

وقسطنطين زريق الاستاذ الجامعى كاتب **فذ — يعرفه المفكرون من ابناء الأمة العربية** ، ويقرأ له الكثيرون من ابناء الأمة العربية . **كاتب يحترم العقل الانسانى** — يحترمه فى نفسه ويحترمه فى قارئه . ويرى ان أول واجبات المفكر **ان يحترم العقل** ، وان **يعرف للفكر رسالته — ورسالة المفكر عنده ان يقبض بعقله وبصيرته على أصول الشدائد والازمات التى تعانيها أمته ، أو تعانيها الانسانية .** يقبض عليها ليستطيع تشخيص حقيقة الداء واقتراح ناجع الدواء .

ان المفكر الذى لا يبلغ هذه المرتبة لا يكون عنده شيئا مذكورا . لان اى تاثير تحدثه الأزمات والشدائد فى نفسه سيكون تأثيرا **عاطفيا** غير مبنى على الفهم والادراك . تأثيرا غير مؤد الى الخلق والابداع — وبالتالى غير مؤد الى تخفيف الشدة ومعالجة الأزمة .

ان على المفكر ، الذى يؤمن بالعقل ويحترم رسالته ، أن يفهم فى دقة حقيقة المسائل والمشكلات ، وأن يعى متضمناتها ، وان ينبه الشعب والامة الى وجوه الخطر فيها .

* * *

وقسطنطين زريق الاستاذ الجامعى والكاتب المفكر من **العرب القوميين** — يعرفه كل اولئك الذين

****

من يصدق أن المسلمين اليوم يؤمنون بالاسلام وفيهم من يؤمن بالشيوعية وأهلها يقولون بكل وسيلة من وسائل القول : كل شيء مشاع · وكل امر مباح · وكل ارادة طليقة ·· والمسلمون يسمعون هذه الأضاليل تبث فى الاذاعة وتنشر فى الكتب وتردد فى المجالس · فيرهفون لها سمع الغبى وتدفعهم شهوة الاباحية الى أن يشتروا الضلال بالهدى ، ويستبدلوا الخبيث بالطيب ، ويسهموا فى الدعاية الى هذه النحلة على حساب دينهم ووطنهم ؟

والعلة فى كل أولئك هو الجهل التام والعلم الناقص · فلو أن المسلمين اعتقدوا دينهم اعتقاد المؤمن ، وفقهوا دينهم فقه المقتنع ، واتبعوا نبيهم اتباع المصدق ، لما أصبحوا فى الحال التى تنبأ بها الرسول صلوات الله عليه اذ قال : « **يوشك ان تداعى عليكم الأمم كما تداعى الآكلة على قصعتها · فقال قائل : أو من قلة نحن يا رسول الله يومئذ ؟ قال : لا · انكم حينئذ لكثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من قلوب اعدائكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن · فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » ·**

« **الم للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ؟** »

بلى ، والحمد لله قد أنى للمسلمين ان يكشفوا عن العيون غشاوة الباطل ، ويجلوا عن القلوب صدأ الغفلة ، فيبصروا الطريق ويستبينوا الغاية ، وان فى يقظة الوعى الاسلامى التى بدت فى تعاطف المسلمين على البعد ، وتناصفهم فى القرب ، وتحالفهم على الاحداث ، لأشعة من تباشير الصباح ، قبلها الليل المظلم ، وبعدها النور المشرق ، وان تنقية الدين مما علق به ودس فيه لتكشف عن جوهره وتصل المسلمين بروحه ·

ان القتام يحجب الشمس · وان القذى يفسد الشراب · وان الماء اذا راق ساغ · واذا ساغ روى !

أحمد حسن الزيات

يشتغلون **بالقضية العربية** من مشرق الارض الى مغربها . يعرفونه ويعرفون فيه الكاتب الذى يهب عصارة عقله ، ومداد قلمه ، لابناء امته . انه لايزال يكتب حتى يوضح لهم كثيرا من المعانى ، ويبين لهم كثيرا من المعميات ، ويكشف لهم حقيقة حالهم ليتبينوا موقفهم من الحياة . وله فى ذلك كتب نذكر من بينها .

١ **الوعى القومى .**

٢ **معنى النكبة .**

٣ **اى غد .**

والكتاب الاخير هو الذى نقف عنده اليوم . والغد المسئول عنه بهذه الصيغة من صيغ الاستفهام **هو غد الامة العربية** ــ غدها **المأمول او المرتقب .**

اى غد ؟؟

اى غد للشعوب العربية وللبشرية جمعاء ؟؟

هذا هو السؤال الذى يرتسم فى افق حياتنا . ويتحدانا بعنف واستمرار . **انه السؤال الذى يجب ان نعى مضمونه** اذا اردنا لانفسنا السلامة والرقى .

حرى بمفكرينا ، **وهم طليعة الامة** ، ان يحاولوا اكتناه هذا السؤال ، ومجابهة تحديه ، واستجلاء **المستقبل العربى** فى نطاق المستقبل البشرى ، كى تتضح الغاية ويكون سيرنا على هدى وبصيرة ... **ان نهضتنا القومية ، بوجوهها المختلفة : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، يجب ان ترتكز اولا على دعائم العقل والخلق ، وان تهدف الى خلق امة تتحلى بالصفات الانسانية الاصيلة .**

ما هى **الصورة** فى ذهننا للانسان العربى المرجو ؟؟

ما صفاته ؟؟

الى اى حد يتحلى القائمون بأعباء نهضتنا بهذه الصفات ليتمكنوا من تحقيقها فى المجتمع ؟؟

ما هو المحتوى الانسانى الايجابى لكياننا القومى المقبل ؟؟

ما هى الشروط **المادية والروحية** لتكوين هذا **المحتوى ؟؟**

هذه وسواها من التساؤلات الاساسية يجب ان **تكون مدار اهتمام رجال الفكر والعمل بيننا ، وان** تنفذ الى مشاغلهم المختلفة ــ حتى وهم يعالجون **القضايا الملحة** التى تطالعنا من كل صوب ــ او على الاقل فلتكن هى التساؤلات التى تبدو لرجال الفكر وهم ينظرون الى المدى البعيد **ويحاولون تبين الاهداف ورسم الخطط .**

قد تبدو هذه التساؤلات بعيدة او غريبة عن ازمتنا الحاضرة . وانها لكذلك اذا نظرنا الى هذه الازمة **كأزمة سياسية فحسب** . اما اذا اعتبرناها ــ كما يجب ان تعتبر ــ **ازمة فى الكيان العربى ذاته ،** وليس **الاضطراب السياسى** سوى مظهر من مظاهرها، فلا تعود هذه التساؤلات بعيدة بل تصبح من صميم ما نعنى به ويستبد باهتمامنا ، وتكتسب وضوحا وخطورة **بفعل الازمة السياسية ذاتها .**

ان **الاستعمار** بمظاهره المختلفة **والصهيونية** ، وسواهما من الاخطار التى تحيط بنا ، ما كانت لتفعل بنا ما فعلت ، لو كنا غير ما نحن عليه اليوم : **تقدما، وانتظاما ، وتنبها عقليا ، ووعيا اجتماعيا ، وانتاجا حضاريا .**

فاذ نحاول ان نرد عنا هذه الاخطار **بالسبل السياسية ، وببناء القوة المادية** ، يجب ان نجهد ، فى الوقت ذاته ، ببناء مجتمع تكون صفاته **الانتظامية، والتقدمية ، والتحضارية ، الضمان** الاخير للتغلب على هذه الاخطار فى المدى البعيد .

هذا هو الغد الذى تتجه اليه فصول هذا الكتاب.

انها تتجه اليه بطرق **متفرقة** وبمحاولات تمهيدية ، فلا تدعى تحقيق **الكمال او** بلوغ **الغاية .**

* * *

والكتاب المذكور يتعرض لمشكلات هامة ، وينظر اليها نظرة من يرى انها ذات اثر فعال فى بناء مستقبل **الامة العربية** . فيتعرض مثلا لواجبات **المفكر العربى** نحو الازمات التى يمر بها المجتمع العربى ، ويتعرض مثلا **للتقدم والتقدمية** ويرسم الخطوط الهامة التى يجب أن تسير فيها الامم المتخلفة لتصبح امما متقدمة،

ويلخص أهم الفوارق بين هذه وتلك . ويتعرض مثلا **للتنظيم** ، ويؤكد اهمية الدور الذى يلعبه فى حياة الامم ، ويعزى تخلفنا فى كثير من المواقف **الى عدم قدرتنا على التنظيم ، تنظيم عقــولنا ، وتنظيــم المؤسسات التى تعمل جاهدة فى خلق امتنا وسير** الحياة اليومية فى مجتمعنا . ويتعرض **للثقافة** وبرسم خطوط الثقافة التى **تنتج الشخصية التقدمية التى يمكن ان تضطلع بالبناء والتجديد** . ويرى ان **الثقافة العربية القديمة** غير قادرة وحدها على خلق هذه **الشخصية** وانه لابد من الاعتماد على **الثقــافات الاخرى** وبخاصة تلك التى نستجلب منها الالة وكثيرا من مواد الحضــارة الحديثة .

والكتاب مثل صالح يجب ان يحتذى فى معالجة المشكلات **العربية والانســانية** ، وفيه من الجمل والفقرات ما يمكن ان يتخذ **اساسا فكريا لدراســة احوال امتنا العربية ، والنهوض بها لتلعب دورها الانسانى فى المجتمع العالمى** .

ان ما يحرزه **مجتمعنا العربى** من تقدم متوقف ، فى الدرجة الاولى ، على ما ينشأ **ويعمل فيه** من شخصيات **متحررة منتظمة تقدمية فى ذاتها** . ولا عجب فى هذا ففاقد الشيء لا يعطيه .

عبثا تنتظر اشاعة **الحرية** ممن لم يتحرر فى **ذاته اولا** .

عبثا نتطلع الى من لم **ينتظم عقله وتنسجم قوى نفسه** لان يكون **باعث انسجام وانتظام فى المجتمع**.

عبثا نرجو ممن يخشى **المغامرة واقتحام آفاق العمل والعقل والروح ان يدفع بمجتمعه الى الامام** .

ولذا كان **اخطر** واجب علينا ، **واجسم** عبء ملقى على عاتقنا ، **تكوين هذه الشخصيات التى تصبح فى المجتمع مبعث قوة وحياة واندفاع** . ولا نكران **ان للقــوة والحياة والاندفاع مصــادرها الاخرى** ، ولكن هنا ــ فى الشخصيات **الحية الفاعلة ، المتحررة المحررة ، المنتظمة المنظمة ــ المصدر الاول والمبعث الرئيسي** ......

***

كثيرا ما تساءلت وانا ادرس تاريخ **امتنا العربية** الماضي عن اسباب **انحلال سلطتها وتدهور حضارتها**. وكنت فيما مضى اعزو ذلك الى ما انتابها من **حروب وما اصابها من غزوات** . غير انى غدوت الآن اعتقد ان **السبب الاول والاهم** فى ذلك كله انما كـان **الضعف الداخلى الناتج عن ضعف العلة الرئيسية من علل التنظيم والابداع ــ اى الشخصية العربية**.

لقد اقفل العقل العربى على نفســه الابواب والنوافذ ، فانقطع عن النمو ، وكل مالا ينمو ينحل ، كما ان كل مالا يتقدم يتأخر .

ولقد التهت الروح العربية بالاهداف الشخصية **واللذائذ المادية** ، فضعف **خلقها** ، وقل **جهدها** ، وانحط **تقديرها للمسئولية الملقاة** على عاتقها ، فلا بدع ان فقدت **كيانها** ، ولم تعد ما هى ، واصــبحت **منفعلة** بعد ان كانت **فاعلة** .

يقول مثل صينى قديم : **اذا اردت ان تزرع لسنة فازرع قمحا ، واذا اردت ان تزرع لعشر سنوات فازرع شجرة ، اما اذا اردت ان تزرع لمائة ســنة فازرع رجالا** .

ونحن نطمح فيما ارجو الى ان نبنى **كيانا يثبت على الدهر ولا تفنيه المئات بل الآلاف من السنين** .

فليكن همنا اذن ان **نزرع الاشخاص** . فالاشـخاص هم ، فى الوقــت ذاته ، **نتيجة الابداع والتنظيم ، ومصدر كل ابداع وتنظيم** .

***

ان دوام ايقامة من الامم متوقف آخر الامرعلى مؤهلاتها للحياة ، **لا على الظروف التى تحيط بها** . فالظروف قد تقدم بعض الشيء أوتؤخر .ولكن الاصل والاســاس **هو اتمام الشروط التى بدونها لا تقــوم الحياة** . فكما ان **الانسان** لا يمكنه ان يعيش طويلا اذا كانت تنخر فى جسمه علل اصيلة مستشرية ؛ **كذلك الامة لا تستطيع ان تدوم** ــ مهما كانت الظروف الخارجية مواتية ــ **اذا كانت تعبث بجسمها جرائيم الظلم الاقتصــادى والتنافر الاجتماعى والفســاد الاخلاقى** .

ان مصير كل شعب هو الى حد ما فى يده ، **والحياة تزنه** بميزانها **العادل** وقسطاسها الدقيق . « **فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، واما من خفت موازينه فامه هاوية** » .

وصدق الله العظيم

دكتور محمد احمد خلف الله

الأدبُ الصوفيُّ في مفهوم جديد

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

يعنينا من التصوف هنا انه اسلوب تفكير ، ومنهج حياة ، وان المتصوف يحتكم دائما الى هذا الأسلوب ، ويفيء الى ذلك المنهج ، في ظاهر امره وباطنه جميعا .

فالصوفي بهذا المفهوم واقع تحت مؤثرات ، من شأنها ان تجعل منه نبتة ذات لون ومذاق ، يختلف عن الوان المجتمع ومذاقاته .. في كثير او قليل !

وواضح ان هذا المفهوم الصوفي ليس على اطلاقه ، بحيث يتسع لأبناء الطائفة جميعا .. وانما هو محسوب بحساب المذهب في حقيقته الكاملة ، ومنظور اليه في الرءوس العليا من أرباب الطريق ، الذين وسعت نفوسهم هذه الحقيقة ، واستقامت عليها .

وذلك ، ان المتصوفة ليسوا على حال سواء في هذا المقام ، ففيهم العالم والجاهل ، والمحق والمبطل ، والولي والدعي .. فهم أنماط مختلفة ومنازل متباينة .. فاذا أريد التعرف الى التصوف في ذاته ، ينبغي أن ينظر اليه في أكثر الجماعة تمثلا له ، واخذا به ، لا في المتصوفة كلها ، ولا في المحسوبين على التصوف من قريب او بعيد .

والمتصوفة – بهذا التقدير بيئة انسانية لها نظرتها التي تنظر بها الى الحياة ، ولها مفاهيمها التي تقيم عليها صلتها بالوجود كله ، ما كان منه في واقع الحس او فيما وراء المحسوس .

« والأدب – اى ادب – هو نتاج البيئة ووليدها .. تجيء به الحياة وفيه من أبويه – الزمان والمكان مشابه وملامح ، يعرف بها نسبه اليهما .. عند المتوسمين والمتبصرين .

وعلى هذا ، فان ما ينجم في بيئة المتصوفة من ادب ، لابد ان يكون بينه وبينهم ما بين الأبناء والآباء ، من تشابه او تماثل ، والا كان ادبا زائفا .. دخيلا عليهم ، او لصيقا فيهم .

واذ كان ذلك كذلك ، فانه للتعرف على الأدب الصوفي ، وللتفرقة بين الأصيل والدخيل فيه ، وللفصل بين الحر والزائف منه يجب ان ندرس حياة المتصوفة اولا ، وان نعرف الأحوال المتلبسة بهم ، والنزعات المتحكمة فيهم ، وان نرصد سكناتهم وحركاتهم ، وما يطرقهم فيها من اشواق ومواجد ، وتهويمات ، وغمرات ، وسكرات .. فبهذا ، وبكثير غيره مما تفيض به احوال المتصوفة ، وتحدث به شئونهم نستطيع ان نلتقي بالأدب الصوفي ، وان نتعرف عليه ، وان نفهمه .. وبغير هذا تكون كل محاولة لدراسة الأدب الصوفي ، وفهمه ، والتعرف على خصائصه – خلطا ، وتشويشا على الأدب كله ، وعلى الأدب الصوفي بخاصة .

والذي يرصد بيئة المتصوفة ، ويرقب أحوالهم يجد انه في مواجهة عالم فسيح ، لا حدود له ، ولا سدود .. عالم كل شيء فيه يسبح كيف يشاء ، كما تسبح الطير في الفضاء .. لا يمسكها شيء ، ولا يصدها شيء ! فالوجود كله في نظر الصوفي روح ، ونور ، والق .. وهذه الكائنات في مختلف صورها ، وتعدد اشكالها ، انما هي تجليات لهذا الروح العظيم ، واقباس من هذا النور الغامر ، وومضات من هذا الالق المتدفق !

والوجود كله – في حساب هذه النظرة – جمال مشرق بالحسن والروعة ، لا تقع العين منه الا على ما يملأ القلب عجبا ، ودهشا ، وحبا ، وهياما ، وولها ..

ومن هنا كان « الحب » وكان « الفناء » في المحبوب ، غاية الغايات عند الصوفي ، لا طعم للحياة عنده ، ولا معنى لأي غدو أو رواح فيها ان لم يكن من اجل هذا الحب ، وفي سبيل من يحب .

فالحب ، والوله ، والوجد ، والهيام ، والذهول ، والشرود ، والغيبة عن الوجود .. كلها أحوال يتقلب فيها الصوفي ، ويقطع العمر بين منازلها .. يطعم منها ، ويستقي من مواردها ..

ان العين التي ينظر بها الصوفي الى هذا الوجود ، والصورة التي يتصوره عليها ، والمفهوم الذي يقيمه في نفسه له ، كل ذلك من شأنه أن يجعل الصوفي كله قلبا نابضا بالحب ، فياضا بالاشواق والمواجد .. فهو يرى انه من هذا الوجود اشبه بقطرة الماء ، تنطلق من المحيط الى مواقع

الغيث ، فتجتمع الى الماء فى مجرى النهر ، ثم تنطلق فى لهف وشوق الى الصدر الذى خرجت منه ، والا ذهبت بددا فى يد الضياع الأبدى .

* *

والأدب الصوفى انما هو تعبير عن هذه العواطف الجياشة المتوفزة ، وصدى لهذه الأنفاس المحترقة المتصعدة من صدور تلتهب بلواعج الشوق ، وتكتوى بنار الوله والوجد . فاذا وقع لـيدنا أدب صوفى ، ولم نجد منه ريح تلك القلوب المحترقة ، وزفير هذه الصدور المشتعلة ، فهو ــ فى يقين ــ ليس من الأدب الصوفى فى شىء ، وليس بينه وبين المتصوفة قرابة او نسب .

فأول سمات الأدب الصوفى هو هذه الوقدة المشبوبة فى الفاظه ومعانيه ، حيث يحتشد فيه كل الفاظ الحب ، والهيام ، والوصل والصد ، والرضاء والسخط ، والخمر ، والكأس ، والصحو والسكر ، ونحو هذا مما يدور على السنة المحبين العذريين والحسيين جميعا .

وليس حشد الألفاظ والمعانى التى تحمل ما فى صدور العاشقين من لوعة وجوى ، أو انتشاء ورغبة ــ هو كل مافى الأدب الصوفى، ولو كان ذلك كذلك لكان شعر شعراء الغزل العفيف او المتهتك ــ من الأدب الصوفى ، ولحسب هؤلاء فى شعراء المتصوفة ، أو لحسب المتصوفه من شعراء الغزل ، بصورتيه أو بصوره .

ولكن الأدب الصوفى ــ قبل كل هذا ــ ادب فناء مطلق ، وادب مجاهدة ومكابدة ، وحنين ، ولهف .. بلا شكوى ولا أنين .. يبذلون ما يبذلون، ويعانون ما يعانون فى سماحة ورضى ، وفى شعور بالقصور عن الوفاء بما يتطلبه المقام من مكابدة ومجاهدة ، ولو تلف فيها الجسد ، وسكنت الجوارح !

وقد يكون فى الأدب العذرى مايقع موقعا مدانيا لهذا الأدب فى البذل والتضحية ، ولكنه لا يسامته ولا يطاوله بحال ابدا .

ثم ان الأدب الصوفى أدب طليق ، لا يقف عند الحدود والرسوم التى تواضع عليها الناس فى مفاهيم الالفاظ ، وفى تراكيبها ..

فكما اطلق الصوفى نفسه من عالم الاشياء كذلك أطلق نفسه من مواضعات الناس .. وأخذ طريقه على الوجه الذى يرضاه ، ويستقيم مع تصوراته ، ورؤاه .. ولهذا كان الادب الصوفى ادبا مغلقا ، غير مفهوم الدلالات . عند من لم يكن من القوم ، أو على تحكك واختلاط بهم ! .

ويحسب كثير من الدارسين للأدب الصوفى أن ما فيه من الغاز ، ورمز ، واشارة ، وتعمية ، انما هو عن تدبير مقصود ، وعن خطة مرسومة لدى الصوفية .. والأمر ــ فى حقيقته ــ على غير هذا ، لأن الصوفى انما يحدث عن معان قائمة فى نفسه ، ويصور مشاعر واحاسيس يجدها فى كيانه . فتحملها تلك الالفاظ كما يجدها ، ويحس بها ، وما من همه أن يلغز أو يرمز أو يعمى !.

ثم ان الأدب الصوفى ــ من جهة اخرى ــ ادب يسير فى اتجاه عكسى مع الأدب العذرى .. سواء كان ذلك فى حساب الفرد ، او الجماعة كلها .

ذلك ان العاشق العذرى يدخل تجربته تلك ، سليما معافى ، ثم لا يزال به الحرمان والشوق والجوى حتى ينحل جسمه ، ويذوى عوده ، وتضطرب مشاعره أو يختلط عقله !، واذا هو يهذى هذيان المحموم أو المجنون .

وليس كذلك الصوفى فى عشقه ..

انه يبدأ تجربته راعشا مضطربا مختلطا ، اشبه بالطفل لأول خطوات يخطوها ، ثم لا يزال يشتد رويدا رويدا ، حتى تثبت اقدامه ، وتستقيم خطواته على الطريق ! فالصوفى حين يدخل فى التجربة يغشاه منها صداع ودوار أشبه بما يكون من خمار الخمر ودوارها .. ولكنه شيئا فشيئا يزايله هذا الخمار ، وينجلى عنه ذلك الدوار ، واذا هو فى صحو واشراق ، يزداد مع الأيام وضاءة ، وألقا .

واستطيع هنا ان اقول ان فى رجال المتصوفة من يصح ان يطلق عليهم اسم الصعاليك او « البلطجية » فى عالم التصوف .. واعنى بهم هؤلاء الذين كثر صياحهم ، شعرا ونثرا ، بما ازدحم على افواههم من هتافات المواجد والاشواق ، فى كلمات محمومة راعشة يضرب بعضها وجه بعض .

ففي عالم التصوف ــ كما قلنا ــ مواجد ، وأشواق يجيش بها القلب ، فتتولد منها نشوات غامرة ، قد تدوربها رءوس بعض المتصوفة ــ وخاصة في بدء تجربته الصوفية ــ ويعجز عن احتمالها ، فيترنح ويتعثر ، ثم يهذى هذيان المخمور الذى تصور الخمر له أوهاما وخيالات تحمله على هذا الصياح المحموم ، وتسوقه الى هذا الادعاء الكاذب ، وبأنه البطل الذى لا يجد من ينازله .

وفى رأينا أن هذه الاشعار الكثيرة المملوءة بهذا الهذيان المحموم ، والتى جرت على ألسنة كثير من المتصوفة .. أمثال الحلاج ، ورابعة ، وابن عربى ، وابن الفارض ، وغيرهم . هذه الاشعار انما كانت لهم فى أول طريقهم قبل أن تثبت أقدامهم فى هذا العالم الجديد، وقبل أن تتكشف لهم المعالم، وتستبين المناهج .

على أن ذلك لايمنع من أن تقع منهم فى زحمة هذا الخلط لمحات مشرقة ، لان سكرة هذا الحب العلوى التى أطاحت بتلك الرءوس وادارتها ، لابد أن تترك فيها نفحات طيبة ، كما ان المخمور لايفوته بعض مافى مجلس الخمر أو خمارها من رجس وهجس !

واذن فالصورة الواضحة المشرقة للادب الصوفى لانلتمسها فى تلك الصيحات الاولى لشعراء المتصوفة الذين اعلنوا عن أنفسهم بهذا الصياح المقلق ، وانما نلتمس الادب الصوفى الواضح المشرق عند أولئك المتصوفة ، بعد أن تسكن نفوسهم ، وتستقر وجداناتهم ، أولئك الذين ذاقوا فعرفوا ، ثم مضوا فى طريقهم يعرفون موضع اقدامهم ، ومرمى أبصارهم أن هؤلاء تغلب عليهم حال من الصمت الطويل فاذا نطقوا كان منطقهم نيرا مشرقا .. يجيء من نفس صافية ، وقلب مطمئن ، فلا خفاء فيه ، ولا قلق .

وعلى هذا يمكن أن ندلى هنا برأى فى الادب الصوفى ربما استقامت منه نظرية فى هذا الادب قد ينتفع بها فى دراسته ، وفى تحرير نصوصه .

وتقوم هذه النظرية على ثلاث دعاوى .

فاولا ــ أن الادب الصوفى فى جملته انما هو نتاج المراحل الاولى فى حياة الصوفى الذى لم يجاوز منزلة المريدين ، ومن فى حكمهم .. أو هو أدب حياة كاملة للصوفى الذى وقف به جهده عند أول الطريق .

وثانيا ــ أن الفوران العاطفى ، والتشنج النفسى ، والخلط والشطح ، هى الالوان الغالبة على هذا الادب وهى الطابع الموسوم به النتاج الادبى للمتصوفة فى أول مراحل التصوف .

وثالثا ــ أن مايقع من الصوفية وراء هذا الادب هو أنماط من الفلسفة العالية ، وضرب من الحكمة البالغة ، وهو ان حسبناه أدبا كان هو الادب الصوفى الحق ، والا أخلينا الصوفية من الادب ، وجعلنا منطقهم حكمة وفلسفة .

وعلى هذا ، فانه يمكننا فى مجال التطبيق لهذه النظرية أن نفيد منها فى دراسة رجال التصوف ، عن طريق نتاجهم الادبى ، ومقولاتهم المنظومة أو المنثورة فان لكل حال من أحوالهم أدبا ، تعرف به منزلة الصوفى ، ويحدد به مكانه من السالكين فى هذا الطريق .

ثم اننا من جهة أخرى نستطيع أن ندرس الادب الصوفى كله دراسة قائمة على هذا التقدير الذى ندرس به أدب الفرد الواحد منهم ، بمعنى أننا نجعل هذا الادب درجات بحسب درجات التصوف نفسه .. فما كان منه محملا باصداء هذا الصراع العنيف الحاد او ممسوسا بصدمات هذا الصرع الذى يلقى المتصوف فى أول الطريق ، جعلناه فى المنزلة الدنيا من أدب التصوف ، وعددناه من سوابق الثمر وبواكيره التى تحمل كل مافى كيان الشجرة من معاناة التجربة الاولى ، للحمل والولادة .. أو هو الدفعات الاولى للسيل الهادر .. أكثره غثاء وزبد!! ثم انه كلما خلص الادب وصفا من هذه الآثار العالقة به كلما ارتفعت مكانته ، وعلت منزلته .

وهكذا حتى نلتقى بالادب الصوفى المشرق الذى تتمثل فيه الحكمة البالغة ، وتتفجر من ينابيعه روائع البيان والذى هو فى حقيقته نفحة من نفحات الاشراق الروحى ، وقبسة من اقباس العالم العلوى ، حيث تحوم فى سماواته أفئدة القوم ، وتخفق فيه قلوبهم .

على أننى ــ مع هذا ــ لاأرى أن يسوى الامر على هذا الحساب ، حتى تقوم له الشواهد من الادب الصوفى .. فى أفراده ، وفى جماعاته كلها ، لنرى مدى استجابته لهذه النظرية ، أو انفصاله عنها .

عبد الكريم الخطيب

تلميذ الجاحظ

للدكتور عبد الرحمن عثمان

وأنزلني طول النوى دار غربة
إذا شئت لاقيت امرأ لا أشاكله
فحامقته ، حتى يقال : سجية
ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

لشيخ البيان أبي عثمان الجاحظ موقع في نفسي لا يزحمه فيه كاتب ، ولا يرقى اليه فنان ملهم ، لأن فنه وعلمه يقدمان الى الحياة في شتى جوانبها ، فاذا شئت جانبها المثقف الجاد التمسته في حديث أبي عثمان ، واذا نزعت الى صفحتها الباسمة نظرت الى ما يجلو من هزل ، وما يسوق من دعابة ، ومن ثم يحلو لي كثيرا أن أصحبه غير برم بهذه الصحبة ، أو ملتمس بغيرها بديلا .

ومن الطريف ـ وأبو عثمان يضاحكني بحديثه عن تلميذ من تلاميذه ـ أن أنصرف الى شيء من الجد عند غيره ظننته عند الدكتور أحمد كمال فيما كتبه في العدد ١٠٣٦ من مجلة الرسالة بعنوان : « والمغالطة فن أيضا » ، وبالرغم من أنه رد على مقالي : « التباكي على القديم فن » فلم أكن على يقين من ضرورة الكتابة مرة ثانية في هـذا الموضوع ، بعد أن فرغت من مناقشته مناقشة علمية لا يرقى اليها النقض عند أولي الفكر والنظر ، وموضع الطرافة في هذا الموقف أن تلميذ الجاحظ كان يلاحقني في قراءة المقال ، وكأنني لم أنصرف عن شيخ البيان وهو يضاحكني بالحديث عن تلميذه ، والربط بين الموقفين جدير بالكتابة على كل حال .

وفيما وعيت من حديث الاستاذ عن تلميذه قوله: **كان من أصحابنا ـ أو تلاميذنا ـ من يدعى «كيسان» كان يسمع غير ما يقـال ، ويقول غير ما سمع ،** وسوف نرى أن « كيسان الجاحظ » ليس غريبا عن الخلط بين « العسل والبصل » في مقـال الدكتور احمد كمال : « والمغالطة فن أيضا » ، وما كنت أعلم من قبل أن للمغالطة فنا الا في « التشريع المنهجي » عند زعماء الغموض في تقويم الادب .

وما كنت أعلم كذلك من قبل أن النقد الادبي قد جاءه المخاض فولد جنينا حديث الولادة لاينطق بلسان في تقدير الاعمال الادبية « مضمونا وشكلا » ، وانما يكتفي في الحكم عليها : « بأن يدير عينيه في أبعاد القضية قبل أن تضيع المعالم » كما يقول الدكتور كمال ، مع الاعتذار له فيما أصاب عبارته من تحريف لفظي يسير ، فاني أكره أن تكون المحاكاة الكاملة لهـذه الطريقة وسـيلة من سائل العـدوى ، فأصير بذلك « بحرا زاخرا » في العلم والفن ، كـمـا صار اليه الدكتور في ختام مقـاله الطريف ، وقد أخطأ التوفيق حميد بن ثور الهلالي حين قال :

أتانا ، ولم يعدله سـحبان وائل
بيـانا وعلمـا بالذي هو قائل
فمـا زال عنـه اللقم حتى كأنه
من العي لما أن تـكلم : باقـل

نعم ، أخطأ التوفيق الشاعر حميـدا لافي دقة التشبيه ، والنيل من خطيبه الذي يتحدث عنه ، فقد بلغ الغاية في هذا وذاك ، ولكنه أخطأ في أن يدع بيتيه يجريان في هذه المناسبة العلمية النبيلة ولكن ماذا نصنع مع صاحب المنهجية الدكتور احمد كمال فهو لم يترك شيئا للمصادفة كدابه في التشريع ، فقد سارع الى وضع المنهـج التهكمي الموجع في المناقشة التي حدد وقتها ومكانها وسلاحها في مقاله الاول : «الاتصال بالقديم فن» وأحسن التطبيق في مقاله الثاني : «والمغالطة فن أيضا» ، فالقاعدة توضع أولا ، ثم تعرف بالتطبيق طريقها الى العقول .

والدكتور خير من يعلم أنني أحدثه حديث العارف بفضله ، متجاهلا في ذلك مايرميني به من : سرقة وسلخ ، وتشويه ، ومسخ ، ومغضيا عما رماني به من جهل أو نقر فوق الطبول لانني على ثقة من أن العالم المفصح الرصين يضبط شبا قلمه ، حتى في أشد حالات غضبه ، كما يضبط العازف الملهم أوتار معـزفه ، والا جاء اللحن نشازا ، والايقـاع مختلطا متنافرا، وهذه الثقة تحملني على الاعتذار عن الدكتور الفاضل لدى القراء .

ويعلم الله أنه ماخطر في وهمي أن أكون غريما لاحد في يوم من الايام ! فاني ـ والحمد لله ـ أعرف قيمة نفسي في كل مستوى تصير اليه ، وحسبي في هذا المقام أن أقمعها في قوة وعزم حين تشتهي ترديد مثل قولك لي : « **فما كنت بالذي يظن أنه غريم لي ، لان « للاغترام » مستويات يحسب حسابها كل ذي بصر وحصافة** » ، وأنا لاأسأل الدكتور عن بصره وحصافته

لان القراء يفهمون امر هذين عنده دون حاجــة الى جواب ، ولكن الذى احب أن اسأل عنه هو : شعوره بالندم حين يتيه على العلماء بمثل هذا التعالى الذى يصعد به الى اسفل ، ان صح هذا التعبير .

ايحب الدكتور أن يعرف اننى كنت رفيقا به كل الرفق حين دلعت عنه شاعرنا حميدا ومعه بيتاه ، فالراوية أبو عبيدة يحدثنا عن باقل وقصته فيقول: **بلغ من عى باقل انه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما فلقيه شخص فقال : بكم اشتريته ؟ ففتح كفيه وقرن اصابعه واخرج لسانه ، يشير بذلك الى احد عشر ، فهرب الظبى من يده فضربوا به المثل** . ومثل ــ هذا اللون من الدعابة اقترح على الدكتور أن يعدل منهجه فى الشتم والتجريح ، فهو فى دقته خفى خفاء مفصحا ولكنه يلتقى فى بعض «أبعـاده» بمذهب الغموض وطبيعة الرامزين ، ولكنى لا أشير عليه أن يقبل أو يرفض ، فأنا أعلم : انه كم ستجنى على نفســـها براقش :

ألا رب خصــــم ذى فنون عــلوته
وان كان ألوى ، يشبه الحق باطله

والمسالة هينة ياسيدى ، وهى ليست بالمعضـلة التى يتشعب فيها القول ، والامر فيها لايعدو أكثر من فهم ماقررت واقرر ، فاذا شئت أن تجعل منهـــا ساحة قتال فصل فيها وحدك ، وارعد وأبرق ، فقد ترضى فى نفسك غريزة المصاولة ، وسوف لاأكون معك لاننى لاأراها ميدان مدافعة ، وان رأيت فارسها المغوار وقد غاص فى الحديد ، وتجلل بالغبار .

والامر لايفتقر الا الى سرد الحقائق فى وضح البيان بعيدا عما تسميه «بالابعاد» ، فاذا جادلت بعد ذلك فمن الخير لك عندئذ ان تتمثل قصة البصرى والواعظ « **فقد سمع الحسن البصرى واعظا لم يتأثر بوعظه . فقال له : يا هذا ، ان بقلبك لشرا أو بقلبى** » .

واذا كان من المسلم به أن الحكم على الشىء فرع عن تصوره ؛ واذا كان بحثى عن أبى تمام والتجديد يتكون من ست مقالات تقريبا ، ما كاد ينشر منها مقالان اثنان يعتبران مدخلا للموضوع ومقدمة له ، فما هو السر فى غضبة الدكتور كل هذه الغضبة ؟ اتراه فهم النتـائج قبل ذكر مقـدماتهـا ؟ أم تراها شهوة عارمة دفعت به الى الكتابة فى أمر لا يعرف مقدماته فضلا عن نتائجه ؟! أم هنـاك احتمال ثالث لا نعرف بواعثـه ؟ وانا أرجح الفرض الثـانى لانه يساوق أفكار الكاتب فى مقاليه جميعا .

١ ــ ولست اقسوعلى الدكتور كمال حين افترض هـذه الاحتمالات ، ولست متجنيا على الحقيقـة فيما صورت من حواله، فانه سيحدثنا بنفسه عن طريقته فى نقد بحثى كله ماانشر منه ومالم ينشر بعد يقول فى المقـال « والمغالطة فن أيضــا » ما نصـه بالحرف الواحد : « **اقول للدكتور عبـد الرحمن عثمـان ان ماكتبه وماسيكتبه(!!)عن ابى تمام ماخوذ اخذامهوشا من كتاب الدكتور محمد نجيب البهبيتى: « ابو تمام الطائى حياته وحياة شعره »** . **واقول أيضا لايجدى ادعاؤه انه لم يقرأ هـذا الـكتاب الممتاز ، والا كان عليه ان يرمى نفسـه بالقصور لانه لم ينظر الى كل ما سبق اليـه . فان اعترف بانه نظر كان اعترافه هـذا دليـلا مباشرا على صدق اتهامى له بالسـلخ والتشويه والمسخ . ولا باس بعد ذلك من ان أضيف انه لو أطلق سراح افكاره من سطور الرسالة لاسرع معظمها الى كتـاب البهبيتى ولتلمس بعضها سبيله الى كتابين عن الشاعر لعمر فروخ ورفيق الفاخورى، ولا اذكر طه حسين اشـفاقا ؛ ثم يضيع بعـد دور القديم ممـا يحققه امثال ابى بكر محمـد بن يحيى الصولى ؛ ويوسف البديعى وغيرهما** » .

والأمر بعد هذا النص العجيب لله وحده ، وليس معنى هـذا أن بعضه لم يعـد* فى طاقتنا أن نعـالجه بالبطلان والنقض ، وان كانت عوامل ابطاله ونقضه تكمن فى فقراته الفقيرة الى المنطق والقبول .

وقبـل أن آخذ فى هـذا أنبه القارىء الى حقيقة جديرة بالـملاحظة والدرس ؛ هى ان الدكتور رمانى فى مقاله الاول بالسرقة والسلخ(والتوضيب) وما اليهما من كتاب الدكتور محمد نجيب البهبيتى فقط ؛ فلما القيت عليـه درسا فى المـادة العلمية وحمى جوفه بالغضب لجا الى قريحتـه فاسـعفته ببحوث عن أبى تمـام للاساتذة : عمر فروخ ؛ ورفيق الفـاخورى ؛ وطه حسين ؛ وقد شفع الاخير بقوله « اشفاقا » ولا أدرى أهو مشفق على الدكتور طه عافاه الله ؛ أم على ؟ ومهما يك من شىء فان بحثى عن أبى تمام والتجديد أصبح بفضـل « والمغالطة فن أيضـا » ينتسب الى عائلة علمية عتيدة ؛ فتقاسمته الآباء بعـد أن نسبه أولا الى أب واحد هـو الدكتور البهبيتى ؛ وقد كان يريح الدكتورمن هذا القذف أن يتفضل علينا بتحديد نقطة واحدة من نقاط بحثى ليرجعها الى مصدرها أو مصادرها فيمـا سـاق من بحوث وكتب ؛ وحينئذ يقدم لقرائه دليل السرقة الذى لا يجدى معه الدفاع؛

ولكنه لم يفعل ! ولن يستطيع أن يفعل مهما اجتهد؛ ولو مد عينيه الى ما وراء الابعاد .

والأسلم لعقولنا وللدكتور في هذا المقام أن تكون رؤيا صالحة من رؤى السيد المفضال؛ زاده الله صفاء وشفافية .

اما بحوثي ــ يا سيدي ــ فانى أقيمها من خاطرى وفكرى على أسس قوية من امهات المراجع، واظن ان السادة الذين كتبوا عن ابى تمام نهجوا منهجى بالدقة ، فالصولى والآمدى والمعرى تحدثوا عنه حديثا أخالك تعرفه ، والمرزوقى ــ فى مقدمة الحماسة ــ ، وابن رشيق فى العمدة تحدثنا عن عمود الشعر ، وهو الجديد فى شعر ابى تمام ، فاذا اضفت الى كل اولئك ابا الفرج فى اغانيه ، وابن المعتز فى طبقاته ، وابن الاثير فى المثل السائر .. استقام لك بحث غنى بالمادة عن هذا الشاعر ، فاذا عن لك ان تحدد فكرتك على هدى ما كتب الكاتبون المحدثون كان ذلك ادنى الى التوفيق والاصابة ، ولكن على أن تظل شخصيتك حية فى بحثك بحيث لا تذوب فى غيرها ، ولا تتعب من استراق السمع ، ولا يعيب الكاتب أن يند منه بحث محدث او بحوث ما دام متلفتا دائما الى الامهات التى هى النبع الوحيد له ولغيره من الوراد .

ارأيت ان القديم عندى لم يضع دوره ؟ ، لانه الاساس والدعامة فى تقدير العقلاء غير المجددين .

٢ ــ ولن اغضب الدكتور مرة اخرى بالحديث عن زعامته فى منهج الشك ، واكتفى بنص منها يعتبر بدءا لنظرية مستقلة ، قال : « **ان شكى فى الادب القديم لا يشمل عصر ابن سلام الجمحى ، فحسب ، وانما يمتد ايضا الى العصر الذى وضعت فيه المناهج العلمية الحديثة ، ومن ثم لا اعتد بآراء المحدثين القدماء وحدهم ، لانه نظرى لم يكن دائما موصلا الى اليقين الكامل** » ، واقسم لك ايها القارىء أن ما سقته اليك هو كلام الدكتور بنصه وفصه (انظر العدد ١٠٣٦ ص ٨ س ١٤ وما بعده) .

ونظرية الشك هذه قد اخذت دورها فى الصحافة المصرية واوساطنا الادبية حين كنت يا سيدى حدثا ، ولعلك قرأت عنها الكثير ! وعرفت بواعثها وآثارها ، وهى على كل حال فكرة قديمة معادة ، والحديث عنها ممجوج لا خير فيه ، ثم هل تعتقد مخلصا ان زعزعة الثقة بامثال ابى عمرو ابن العلاء والاصمعى ! والضبى ، والجاحظ يرجع بالفائدة على الناشئة العربية ، واذا كانت وسائلك فى البحث العلمى تشير دائما الى أن هناك كتبا قد فقدت ، واخرى قد احرقت ، فكيف نرجو ان تجيء النتائج فى مجال الادب العربى الذى يعتبر بحق اظهر سمة فى الكيان العربى كله ، انه التدمير لا البناء ، والتخذيل عن الاقبال على التراث الذى تدافع انت عنه فى حرارة واخلاص ، فالجدل شيء واخذ الآخرين بالنصفة شيء آخر ، وهذا ما ينبغى ان تعرفه عنى يا ايها البحر الزاخر ، وصاحب المستوى الرفيع فى ما تشاء وفيما لا تشاء ، فلن نخسر شيئا حين نرضى فيك طموحك ، ولكننا نخسر كل شيء حين نحكم عليك بالظن ، فان بعض الظن اثم . وهناك فرق كبير بين اسلوبين يقرران نظرية واحدة ! وكان خليقا بك أن تقول : **ان مذهبى يعتمد على التثبت من صحة الروايات قبل قبولها** ، وهو نفس الهدف المراد من عبارتك السابقة ، فلو انك قلت هذا او قريبا منه لكان اشبه بك وادل على غيرتك العربية فى هذا الصدد .

٣ ــ اذا كان مقالى : «الباكى على القديم فن» يتسم بالطابع العلمى ، والتوجيه الواعى الى تصحيح اخطاء علمية مشهورة تورط فيها الدكتور احمد زكى ، فانى اعترف بالمجهود الذى بذله فى باب العصبية العباسية حتى جاءت بارعة مستوية فى مقاله الاخير ، ولكنى لا اعترف له بالتوفيق فى فهمه « للخضرمة » على ضوء يخالف مصطلحها فى اللغة والادب ، فقد حدد لها مفهوما جديدا لا صلة له بهذين !! ، ونراه يمهد لنظريته «للشبان الاصمعى لم يعش ارهاصات العباسيين كما عاشها ابان الامويين بشار ، وابن هرمه ، وابو عمرو ، ثم يقول بعد ذلك : « **واظن ان هذا لا يعنى الا انى ارفض نقل عباسى اصيل الى اموية زمنية بحجة التكون الثقافى الذى يضرب باصوله فى الماضى ، والا جاز لنا ان نعتبره جاهليا بحجة أن مكوناته الفكرية خلصت له من عرب يعايشونه او فارسيا بحجة انه قضى ايامه فى البصرة التى اضطرب فيها الفرس بتراثهم العتيق ! »**

والقضاء فى المصطلحات الادبية او اللغوية لا يكون بالرأى العاطل عن الدليل ، والدليل الذى ساقه الدكتور لا يصلح سندا للقضية ولا شبه سند ، بالرغم من جنوحه الى ما تعارف عليه أهل الادب؛

بداية التعبير الأدبي عند العرب

للدكتور احمد كمال زكى

يقال دائما : ان الناقد يبذل فى النص الذى ينقده جهدا ابداعيا معينا ، وبقدر قدرة ذلك الجهد على التبرير والتفسير يكون الوصول الى الجوهر الحقيقى للعمل الادبى . واذا تصورنا انتاج الاديب انه مجرد « تعبير عما يكنه ضميره » منعزلا عن معطيات الحياة ، يكون من الطبيعى جدا ان نراه كائنا غريبا . ولكن الحقيقة انه لايصدر الا عن الذات المنفعلة بالاشياء التى يلمسها ويعبر عنها ، فيراه الناقد من ثم متصلا بكل شيء ايا ما كانت التجربة التى تدفعه الى التعبير .

واهم مبدأ يجمع النقاد على الاخذ به هو : ذلك الانتاج باعتباره ماقيل ، كيف قيل ؟

وتسوقهم الاجابة الى ضروب من البحث غايتها محاولة « فهم الطريقة » التى شكل بها الاديب انتاجه . وعندئذ تتوزع الجهود بين التاريخ وعلم النفس وفلسفة الجمال ومايجرى هذا المجرى ، ولايكاد اى جهد من هذه ان يخطىء ماضى الفن اطلاقا . بل يضع الجميع فى اعتبارهم ان القوة الجمالية التى تسوى عادة تجربة الاديب فى الصورة التى تنفذ الى خبرات الآخرين لايمكن ان تقوم الا على اساس من الموروث بكل اعماقه . واذ يكون الاديب فى نظر الناقد هو ابن الموروث على ذلك النحو ، فقد وضع نفسه بازاء تاريخ يوغل فى القدم ويقف عند اوليات الفنون .

فلاعجب بعد ان يصر اى عمل نقدى جاد على ان يرجع الى الوراء ، لا ليبحث فى النص عن وجوه شبه بغيره ولا ليهتدى الى مواضع منه تصلح لان يعرض فيها الناقد ثقافته ، ولكن ليقيم « مقدار » الجدة فيه ويحدد «نوع» التفرد ، واحسب ان هذا لو كان تهيأ لنقادنا الاولين لما جروا وراء اللفظ حتى تفوتهم الفكرة ، وكانما غاب عنهم ان العمل الادبى منذ بدأ لم يكن قابلا للتجزئة ، كما لم يكن من طبيعته ان يفهم الا على اساس انه تعاقب بعض خبرات مختلفة . ولو قد رصدت هذه الخبرات لامكن تطوير ادبنا الى غير ماصار اليه !

كان اساس الخطأ اذن اهمال القدماء ربط الآثار المنقودة بماضيها ، ونريد نحن اليوم الا نتورط فى ذلك الخطأ ، فنقرر مثلا ان الشعر المرسل رجعة الى طفولة الشعر ، وان الرمز الادبى مجرد استغلال لخرافات الاولين ، وان الرواية الحديثة تعود الى حيث بدأت بلا خطة او بلا حبكة تنتظم عناصرها .

مثل هذه الاحكام «الهائلة» جائر فى اغلب الاحيان ويظل قابلا للمناقشة وللرفض معا مادامت صورة الماضى كله جاهزة او مطروحة الطرح الذى يكفل للخبرة النقدية اسباب التحقق ، وكم يكون مجديا اذا شرعنا نبحث من جديد عن التليد !

◇

تلميذ الجاحظ « بقية »

وذلك للفرق الشاسع بين التكون الثقافى بالنشأة والتكون الثقافى بالرواية والتحصيل ، وهنا تكمن المغالطة باحالة النظر فى الابعاد السحيقة بحثا عن معالم وهمية ، وارضاء لنزعة تحاول التجديد حتى فيما انعقد عليه الاجماع ، أو قامت عليه القواعد الثابتة ، ومن قبل خطب وكيع بن ابى سود بخراسان ، فقال : « **ان الله خلق السموات والارض فى ستة أشهر !! ، فقيل له : انها ستة ايام . قال وأبيك ، لقد قلتها ، وانى لاستقلها !!** »

اما وقد طال بنا الحديث ، فساكتفى بان اشير للدكتور الى وجه الصواب فيما وهم فيه : لا زلت مصرا على ان المقال الاول لا يفرق بين تدوين الادب والاستشهاد به ، وكان ردى قائما على هذا الاساس ، فاذا شاء الدكتور أن يتنصل مما كتب اولا فانى لا اكلفه مشقة الاعتذار ، وعليه أن يعرف جيدا ماذا كنت اعنى بما سقت من حجة ! ، ثم لا يكون جدل بعد ذلك فى اثبات كل شيء ثم انكاره بعد حين ؛ ورحم الله الشاعر حين يقول :

فيا دارها بالخيف ان مزارها
قريب ، ولكن دون ذلك اهوال

الدكتور عبدالرحمن عثمان

وبخصوص تراثنا العربي نفجأ بمن يأخذه بمقاييس غريبة ، حتى ليأتي واحد كالدكتور طه حسين او الدكتور شوقي ضيف من بعده فيقول ان هذا التراث كتراث اليونان تماما ، فهو شعر في اول الامر ، وهو خطابة بعد ذلك ، وبين هذين ثمة اسجاع وامثال وقصص يكتنفها الغموض ويحيط بها الشك من كل جانب .

والواقع ان ارسطو ومن قبله افلاطون ثم من نقى على آثارهما لم يخططوا للفنون القولية الا على اساس ان الشعر كان عند الاغريق القدماء اسبق انواع الكلام الفني . وربما كان لهؤلاء الاغريق ظروفهم ، الا ان طبيعة البداوة — داخل الجزيرة العربية على الاقل — ترفض هذه المسلمة ، بل ربما ترفض تقسيم الكلام اساسا الى نظم ونثر . وقد لحظ قدماؤنا على اي حال ان العربي القديم لم يقل الشعر اول ماقال ، ولم يبدأ بالقصيد قط . وهذا الجاحظ يقول في كتاب الحيوان « اما الشعر فحديث الميلاد صغير السن » ، وابن رشيق من بعده يقول في عمدته « وكان الكلام كله منثورا ، فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم اخلاقها وطيب اعراقها ، وذكر ايامها الصالحة واوطانها النازحة .. .. .. فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لانهم شعروا به اي فطنوا » .

والحداثة التي ربطها الجاحظ بالمهلهل وامرىء القيس لا تبعد عن القرن الخامس الميلادي ، وحول السابع انبثق فجر الاسلام ، فهل هذه جاهلية العرب المعروفة في حدود مايقرر الدارسون ؟ وهل هي التي شهدت حقا ميلاد «القصيدة» وتطورها الى « المعلقة » مثلا ؟

انا استبعد هذا ، وابعد مع من يبعد من الرواة ، غير اني لا انسب مثلهم لادم او لتبع اي شعر . كذلك افترض مع الفولكلوريين انه كان للاولين لون من التعبيرات القولية — لعلها كانت مفككة — داخل انماط ايقاعية تصلح للانشاد ، وانما يمكن ان يغلب عليها التكرار والمراجعات في بعض اجزائها . ولعلها قبل ان تخضع للقالب الوزني — الذي كان يلازم حركة الجسم عادة — عرفت الاسجاع ، فيصح من هنا مايقوله بروكلمان في تولد الرجز عند العرب من السجع مرتبطا بحداء الناقة !

وثمة مرحلة اخرى في خلق هذا الكلام المنسق الذي كان ينشد انشادا ، وهذه المرحلة تمت مع اداء الطقوس الدينية . وفي القرآن الكريم قوله تعالى « وما كانت صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » اي صفيرا وتصفيقا ، فكانما كان الانشاد طابع العبادة اذ ذاك . فاذا عرفنا ان الكهنة كانوا هم اصحاب الحق في توجيه المصلين وفي وضع تراتيلهم وان ما اثر عن هؤلاء الكهنة لايعدو هذه المسجعات المبهمة المعقدة التي تسمى باسجاع الكهان ، فقد يمكن في ضوء هذا ان نقرر ان بداية التعبير الادبي عند العرب كانت هذه الاقوال بعينها ، يؤيدنا استعمال الجاهليين لفظتي «الشاعر» و «الكاهن» مترادفين . كمالمتد خلط المتاخرين منهم الى القرآن نفسه فقرنوه بالشعر لمجرد ان فيه من آيات البلاغة ما لحظوا مثله في اناشيدهم ، وقد قال الله تعالى في نفي ذلك « انه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلاماتؤمنون ، ولابقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين » .

***

ومهما يكن من شيء فنحن اذا فهمنا نظرية الانشاد على ذلك النحو امكن ان نتبين شمول كلمة « الشعر » عند العرب ، وهو ملحظ وجدنا نظيره — على نحو ما — عند ارسطو ، وذلك عندما اشار في كتابه « فن الشعر » الى طائفة من الشعراء لم تصطنع الوزن في كلامها قط .

وليس يعنينا ارسطو الآن مادمنا رفضنا رايه الذي التزم به اغلب الدارسين عندنا . ولقد ترتب على هذا الرفض تاخير الشعر كاداة فنية من ادوات التعبير القولي ، وهو يظل في المؤخرة ماذكرت ازاءه الخطابة . واحسبه يظل كذلك في معرض القصة والامثال ، وان يكن لكل فن من هذين حالة قد نعود اليها ذات يوم بالتفصيل .

اما الخطابة وهي في رايي تمثل الطريقة الشائعة

فى التعبير الادبى عند الجاهليين ؛ فلانخرج بدورها على ظاهرة الانشاد التى رأيناها تلازم اقوال الكهان وترانيل المصلين . فثمة التوازن ، والايقاع المنسق والاسجاع المختارة ، والمراجعات الطويلة والقصيرة على حد سواء ، حتى ليقع فيها نوع من الوزن العروضى المعروف ، واشهر نموذج للدلالة على مانقول هو خطبة قس بن ساعدة الايادى التى رواها الرسول فقال الجاحظ « انه اسناد تعجز عنه الامانى وتنقطع دونه الآمال » ، وفيها ينشد قس « من عاش مات ، من مات فات ، وكل ما هو آت آت » .

ونتبين فيها روحا يشبه روح المتعبد ، مما يلقى فى الروع انها قيلت لغرض دينى . كما تذكرنا سجعاتها بسجعات الكهان ، فيكون قس بن ساعدة كسلمة بن ابى حية الذى قيل انه كان اكهن العرب واسجعهم ، او يكون كلقمان الذى يجعله الجاحظ واحدا من الذين يذكرون « بالرئاسة والبيان والخطابة والحكمة والدهاء » واين عهد لقمان بالقرن الخامس الميلادى الذى يقال ان الشعر نشا فيه ونما ؟

الى غير ذلك مما يطول شرحه ، غير اننا نستطيع ان نطمئن الى ان تطور المقاطع فى امثال تلك الخطبة وفى اسجاع الكهانة واقوال الحكماء السوية ، كان يجرى فى بطء وعلى فترات يغلب على الظن انها كانت كثيرة قبل ان يأتى المهلهل فيقصد القصيد !

وبعد ، فهذه الحقائق التى قدمتها ربما تبدو غريبة لاول وهلة ، الا انها فى استنادها الى الواقع التاريخى تتفق مع طبيعة النشوء والتطور من ناحية ومع اقوال القدماء امثال الجاحظ وابن رشيق من ناحية اخرى . واحسب انها حتى لو لم تقدم شيئا الا للمتخصصين ، فحسبها امام الجميع انها ترسم البداية ليعاد النظر فيما قيل انه النهاية .

دكتور احمد كمال زكى

فى مهرجان الشعر الخامس

للأستاذ العوضى الوكيل

- ١ -

امشاج من القصيد سمعناها فى المدرج الكبير لكلية الحقوق بجامعة الاسكندرية حيث اقيم مهرجان الشعر السنوى الخامس ؛ وامشاج من البحوث والدراسات عمرت بها آفاق المدرج الكبير ؛ وبهذه وتلك أضيف الى أدبنا تراث له قيمته من الشعر والنقد .

لقد كان المهرجان فى حقيقته كالمعرض السنوى الذى يقام لعرض سلعة أو مجموعة من السلع ؛ اذ تجمع شتى نواحيه الوانا منها ، يرى الناس فيها بين عام وعام ما طرأ عليها من التطور .

والحق أن هذا المهرجان الخامس ظاهرة أدبية حقيقة بالتسجيل ثم بالبحث والتحليل ؛ فقد كشف للناس عن عدة حقائق هامة ؛ منها ان المرأة قد شعرت واصبح لشعرها امتياز وذاتية، وبدت الانوثة واضحة فيه ؛ وكان غالب شعر النساء فيما مضى كلاما لا انوثة فيه ؛ وليس فيه ما يجب أن يكون من التخصص والابداع المعبر عن ذات قائله تعبيرا لا يشكل الامر فيه على ذى البصر .

أما هذا العام فقد سمعنا للنساء شعرا فيه دلالة قوية على ذواتهن ؛ وكثير من معانيه ـ بل من الفاظه ـ ينبض بالأنوثة الكاملة .

ومن تلك الحقائق أن الشعر فى عمومه قد خطا الى الامام خطوة ؛ ونهض قليلا مما كان يرين عليه من الجمود والتخلف ؛ اذ سمعنا أنماطا جديدةً من التفكير ومن التصوير والخيال ؛ وبدا الشعراء يطرقون موضوعات جديدة كانت من قبل غريبة على نفوسهم ؛ وبدا المهرجان ـ فى عمومه ـ كمعرض الصور الفنية ؛ جمالا وامتاعا .

وفى هذا المهرجان ـ ككل مهرجانات الشعر السابقة ـ كثر الشعر الذى يتحدث فى الموضوعات الوطنية والقومية ؛ وليس يعيب المهرجان أن يكون كذلك ، ولكننا لاحظنا أن هذا الضرب من الشعر أو شك أن يتحول الى « كلشيهات » لا تتغير كلماتها

الا بالقدر الذى تتزن به البيوت والتفاعيل · فبقيت الافكار ، وانساط التعبير جامدة صامته الحس ، وصدئت الكلمات والأساليب ، واشكت أن تفقد دلالاتها الشاعرة لفرط ما لاكتها الأفواه والألسنة ·

وثمة ظاهرة – فى هذا المهرجان – جديرة بالملاحظة ؛ وان تكن هامشية وهى أن عددا غير قليل من شعراء المهرجان لحنوا وهم يتلون أشعارهم لحنا يجب أن يتنزه مثلهم عن مثله ·

لقد احتلت المرأة جانبا كبيرا من المهرجان فسمعنا لروحية القلينى ؛ وشريفة فتحى وجليلة رضا وفلورى عبد الملك وعزيزة كاتو ونجاة شارو ربيع وسميرة أبو غزالة ولورا الأسيوطى ؛ وسميرة ابراهيم زيدان · على تفاوت بينهن فى الفن الشعرى ·

واحتل موضوع الاسكندرية جانبا كبيرا من المهرجان ؛ اذ تحدث عنها بصورة مباشرة أو غير مباشرة عبد الرحمن صدقى وصالح جودت وعبد اللطيف النشار وجليلة رضا ، وعبده بدوى ، وروحية القلينى ؛ ومصطفى عبد الرحمن ؛ والعوضى الوكيل وادوار حنا سعد ·

ولعل ذلك تحية من الشعراء للبلد الذى فتح ذراعيه للمهرجان ·

وهناك قصائد شدت بمعان عاطفية مختلفة ، وقصائد تناولت موضوعات تفردت بها كقصيدة عزيز اباظة فى قرطبة ، وأحمد رامى فى معبد أبى سمبل وكمعظم قصيدة صالح جودت فى بلقيس وقصيدة فلورى عبد الملك فى السلام ·

وقد شدا ثنائى محمد الجيار ومحجوب محمد موسى فى التفرقة العنصرية، وثنائى على الفقى ومحمد التهامى بموضوع « الى ولدى »

وسنحاول ، فى هذا المقال ، وفيما قد يتلوه ، أن نتحدث عن الموازنة بين بعض تلك النظائر ، وقد نتحدث عن مستويات بعض القصائد من النواحى الفنية المختلفة متى اسعفتنا النصوص المطبوعة (بالرونيو) التى نشرها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ·

سنستهل الحديث بثنائى التفرقة العنصرية ، والقصيدتان للشاعرين الجيار ومحجوب ، وكل منهما تأخذ طابعا يخالف طابع الاخرى فقصيدة محجوب ، تتناول المشكلة فى وضوح لا لبس له ، وتنأى عن الاطار القصصى ، وتترسم خطى ايليا أبى ماضى تمام الترسم فى مثل موضوعها ، وتأخذ الامر على أنه جدل عقلى منطقى ، تدخله أحيانا بعض الصور البلاغية العادية ، وشاعرها يخونه التعبير أحيانا ، وتدعوه القافية الى مالا يستحب من القول كتشبيه الرجل الاسود بالفلفل الاسود ، ثم يبلغ التعبير غايته من الاسفاف حين يهتف الشاعر :

فسبحان الذى أنشا
وسبحان الذى أوجد

وفى أكثر من أربعين بيتا يردد الشاعر معنى واحدا وفكرة واحدة ، واذن فان هذا القصيد الطويل يغنى عنه بيت واحد ، ويستحق أن نهمس فى اذن قائله :

احسن من تسعين بيتا سدى
جمعك اياهن فى بيت

أما قصيدة الجيار، فهى تحكى قصة رجلين أبيض وأسود ، وعلى لسان الرجل الاسود ترد قصة أخرى عن ابنته مع ابن رجل أبيض ، هكذا على التوازى ، وتختتم القصيدة بأن ثورتنا الناصرية دعت الى نبذ التفرقة العنصرية ·

والقصيدة بتشكيلها هذا تكتب على نفسها انها التفاتة ذهنية واضحة الى موضوع التفرقة ، وأن الشاعر لم يستوحها من انفعال وتجربة ذاتية ، وانما رسم خطوطها بعقله قبل أن يفيض بها قلمه ، وكان الشاعر فاترا – لا سخنا ولا باردا – فى ابراز وجهة نظر الرجل الاسود ، وحسبك فى ذلك أنه لم يوضح غير حجة واحدة للسود تؤكد مساواتهم بالبيض ، هى أن الرجل الاسود والرجل الابيض قد يدفنان بقبر واحد وتلتقى راحتا كل منهما براحتى الآخر · مع أن « قد » هنا تضيع الحجة وتسقطها ، فاذا لم يدفنا معا فقد قامت التفرقة العنصرية فى تفكير الشاعر وتقديره ·

وركب الجيار مع قافيته السهلة مركبا صعبا ، وبدا أن تمرسه بالنظم لم يكن بالدرجة التى تمكنه من صوغ أفكاره فى أوزان وقواف ملائمة :

اننى ابن النهار ، والليل صفح
عن ذنوب النهار مرت شقية

وابى الليل كم تلاقت يداه
بالقرى السود والربى السوسنيه
ويتسام الاعداء فيه وينسى
كل قلب ذنوب حقد عصيه

والشاعر مولع بالايغال في الخيال والتصوير ، وكأنه يريد ان يكون تلميذا لمحمود حسن اسماعيل، ولكنه يقصر عن مدى أستاذه في تلك المكنة العظيمة من ملكة التعبير اللغوى القوى ، ومن عباراته : كوخ يشهق بالنور ، تنزو قطرات الدماء ـ ظلال كقبضة وثنية ـ ثورة عدمية .

***

وثمة قصيدتان عن الأبوة والبنوة كما ذكرنا ، للتهامي وعلى الفقى ، وهذا الثاني ، يفضل سابقه، في طاقة الفن وقدرة النظم ، وأولاهما ، قصيدة لا جو ليـا ، لان أولها يوشك أن يلتقى بآخرها على سرد للافكار والمعاني ، وفيها مقطع كنت أحب الا يلقنه الشاعر لابنه وهو ـ بعد ـ ما يزال في المهد ، ذلك هو الشكوى من حقد الناس والتبرم بهم .

لماذا يشحن شاعرنا خاطر ولده الصغير البرىء بهذه المعاني التي قد تترك في نفسه عقدا وآثارا ؟

ولست أدرى لماذا حشر الشاعر كلمة الشهوة حشرا في وصف فم ابنه الصغير أكثر من مرة ، ففي البيت الثاني يقول :

لا تحرمن اباك من
فمك الشهى اذا ابتسم

وفى البيت الثاني والعشرين يقول :

وتعثر الكلمات فى
فمك الشهى المبتسم

وبعيد ذلك بقليل يقول « مبسمك الشهى » .

وانها لواقعية لا يرتضيها جو القصيدة أن يقول الشاعر الشادى لابنه « تعبت من الحديث معك » فانها شهادة بما تدعيه من أن القصيدة ليست بنت تجربة عاطفية اصيلة .

وثمة ملاحظات لغوية او نحويةعلى قصيدة التهامي لا أرى بأسا من ايرادها هنا .

الشاعر يقول واذاك وصوابها المكين واذا أنت ، ولذلك شرح يطول .

ويكرر هذا أكثر من مرة . ويقول : « ويبقى الطبع ما الانسان حى »

ولا اعتقد أن النحاة يتركونه بشكل المصدرية الظرفية على هذا النحو الذى لم يرد نحو مثله .

اما قصيدة عديله على الفقى ، فانها في الرتم الشعرى أجمل صدى من زميلتها ، وتصطبغ فيها الدعوات للابن العزيز بصبغة صوفية آملة متأملة . وفيها افكار ومعان لطيفة لولا انها همهمات ومناجيات، اذا سرت بعبيرها العاطفى فانها تسوء بعدم وجود جامعة نفسية بين بعضها وبعض . وتبقى بعد ذلك نغما منتثرا يردده الشاعر في حب لابنه العزيز ، وفى بعض معاني هذه القصيدة الثانية سموق عن زميلتها ، فالحديث عن الأم في مقام الحديث عن الابن جميل ولطيف ، فانهما معنيان يتداعيان ، والكناية عن الام في المقطع الخامس من القصيدة رائقة ، لانها أبرزت معنى الانسانية النبيلة في الامومة ، يقول الفقى :

احبك حينما تغفو
على نغمة انسان
رقيق الحس لا يألو
ك عطفا قلبه الحانى
براه الله من نور
ومن طهر وايمان
يقسم حبه بينى
وبينك غير منان
واوليه الوفاء المحـ
ـض وجدانا بوجدان

وهذا المقطع في نظرى هو اجمل ما فى القصيدتين الأبويتين جميعا .

العوضى الوكيل



الجمهورية العربية المتحدة تفوز بالجائزة الأولى

فى المعرض التاسع للكتاب العربى ببيروت

عن كتاب



مشكلة اللاجئين العرب

الذى قدمته

الدار القومية للطباعة والنشر



الدار التى قفزت بانتاجها إلى
المستوى العالمى فى عام واحد
الدار التى حصلت على الجائزة
الأولى فى معرضى الكتاب
العربى بالقاهرة والمعرض التاسع للكتاب العربى ببيروت

أولى دور الطباعة والنشر
فى العالم العربى
تصدر كتاب كل ست ساعات

الدار القومية للطباعة والنشر

حول أبي هريرة راوية الإسلام

للأستاذ محمد عجاج الخطيب

قرأت كلمة الاستاذ محمد عبد الله السمان «النقد بين العاطفة والتجنى» التى نشرت فى العدد (١٠٣٥) من مجلة الرسالة الغراء ؛ وسررت أن يثير كتابى «أبو هريرة راوية الاسلام» خواطره حول النقد العلمى ؛ ولكنى عجبت من مقدمة هذه الخواطر التى تدخل اللبس على القارىء فيظن رأى الناقد موجها الى كتاب «أبو هريرة راوية الاسلام» ومؤلفه ؛ اذ استرسل دون أن يزول ذلك الالتباس ؛ علما بأنى متفق معه على قواعد النقد العلمى ومبادئه ؛ وجميل جدا أن يفيد الباحث من نقد غيره ليصل الى الحقيقة المنشودة ؛ وانى أحد هؤلاء الذين ينشدون الحقيقة العلمية ؛ فانا لا اومن قط بحكم عاطفة تطغى على ميزان العلم فترجح كفة على اخرى ؛ ولا أرضى بعين ترى الليل نهارا؛ والحق باطلا ؛ ولاأثق بـ (محسب) عاطفى — ان صح هذا التعبير — يجعل حاصل جمع اثنين وثلاث سبعا أو أربعا ... وسبق لى أن اكدت أكثر من مرة حرصى على الاستفادة من ملاحظات النقاد والعلماء ، لأنى أحد الملايين الذين يؤمنون بالنقد البناء .

وقد لاحظت أمورا فى «كلمة السيد الناقد» رأيت أن اكتبها لتنشر فى (الرسالة) ؛ حرصا على الامانة العلمية ؛ ووقوفا عند الحق ؛ ودفعا للالتباس ؛ أوجزها فيما يلى :

١ — لم أتناول فى بحثى عن أبى هريرة فى كتاب «السنة قبل التدوين» خمس ما جاء فى كتابى «أبو هريرة راوية الاسلام» وكان من المفروض أن ينشر أبو هريرة منذ سنة على الاقل ؛ ولكن بعض الظروف الطارئة حالت دون ذلك .

٢ — لم يكن كتاب «أبو هريرة راوية الاسلام» ردا على كتاب «أضواء على السنة» لأبى رية ، بل هو رد على كتاب «أبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين» وتصحيح للاخطاء الفادحة ، التى ارتكبها فى هجومه العنيف على الصحابة عامة وعلى أبى هريرة بوجه خاص ؛ وما اطلع على ذلك الكتاب امرؤ الا اقشعر له جسده ؛ لما جاء فيه من افتراءات باطلة .. مما دفعنى الى البحث العلمى عن أبى هريرة ؛ وكان ذلك منذ سنوات ثلاث مضت ، فلم أدخر وسعا ؛ ولم آل جهدا فى بحثى كانت ثمرته «أبو هريرة راوية الاسلام» ، وقد طالعه أكثر من عالم منتصف آنذاك ؛ وشجعونى على نشره ؛ واقترح أحد اخوانى المحبين للحقيقة العلمية أن أنشره فى سلسلة أعلام العرب ، فيوزع على نطاق واسع بثمن رمزى يستطيع كل انسان أن يطالعه ؛ وبهذا تزول الشبهات التى أثيرت حول أبى هريرة ، وتم هذا بفضل الله وتوفيقه .

فكتابى «أبو هريرة» ليس ردا على أبى رية كما ذكرتم — وواضح هذا فى الصفحة (٢٠٣) . ثم انى لم أرد على أبى رية منفردا الا فى الصفحات (٣١٥ — ٣٢٢) ؛ وتركته بعد ذلك للدكتور طه حسين الذى قال فيه كلمته .

فاثارة الكاتب موضوع كتاب «أضواء على السنة» وموقف العلماء منه ونقدهم اياه قد يلبس الامر على القراء — وأنا أحدهم — فيظنوا ما ذكره موجها الى مؤلف كتاب «أبو هريرة راوية الاسلام» ؛ فأنا لم أتهم أبا رية بأنه مدفوع من جهة تبشيرية ؛ ولم أتهمه بأنه يحاول الغاء السنة — وليس بوسعه ولا بوسع غيره أن ينجح فى هذا — ولكنى أحب أن ألفت الانتباه الى ظاهرة خطيرة فى هذا العصر ؛ وهى اتجاه المستشرقين الى دراسة السنة ؛ وطعن بعضهم فيها ؛ وقد لمسنا هذا فى كثير من أبحاثهم ، وأوضح هذا المع علمائنا وكبار شخصياتنا الذين يعملون فى الميادين العلمية ؛ ولهذا كان لزاما على كل من ينقل عن المستشرقين أن يحذر ويفحص ويناقش قبل أن تزل قدمه ؛ فيكون أداة بريئة — من حيث لا يعلم — تعمل فى هدم تراثنا الخالد العظيم ؛ ولعل معظم الهجوم على أبى رية مرده الى تبنيه بعض آرائهم ؛ واعتماده على مصادر غير موثوقة عند أهل العلم للدفاع عن وجهة نظره !!

٣ — لا شك أن الصحابة بشر كما ذكر الاستاذ

السمان وقد عقدت بحثا عن عدالة الصحابة ص (٣٤ ـ ٤١) أدليت فيه بالأدلة النقلية ـ من القرآن والسنة واجماع الامة ـ والعقلية التى تثبت عدالة الصحابة ، مما تدفع كل محاولة للطعن فيهم ؛ ولو سلمنا جدلا بأن العدالة المقصودة بالنسبة للصحابة عدم تعمدهم الكذب ، وهى المراد من الادلة القائمة على عدالتهم ـ فما هو موقفنا ممن يتهم أبا هريرة الذى ثبتت عدالته بتلك الأدلة ـ بالكذب وبوضع الاحاديث مقابل أجر معلوم يقبضه من بنى أمية من غير دليل ولا برهان ؟ هل نسكت عن مثل هؤلاء الذين يتجنون على الرعيل الاول الذى بذل النفس والنفيس فى سبيل حمل الرسالة واداء الامانة !؟ لقدفصلت القول فى هذا كله فى (ص ٢٤٨) وما وبعدها ، وفى غير موضع من الكتاب .

٤ ـ ثم ان حياة أبى هريرة العامة والعلمية لها اثر كبير فى بيان مكانته وحفظه وسعة علمه ؛ وان دراستها تصحح أخطاء شائعة ، منها ان ابا هريرة اسلم عام خيبر ؛ والصحيح أنه اسلم قبل الهجرة النبوية ؛ وبقى فى اليمن يتابع أخبار المسلمين ويحفظ ما ينزل من القرآن الكريم .. وكانتهجرته الى الرسول صلى الله عليه وسلم عام خيبر ؛ تشرف بعدها بصحبة النبى الكريم ؛ ولازمه كظله ؛ يخدمه ويسمع منه ويرى بعينيه ويعى بقلبه ؛ وقد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بحرصه على الحديث وعرف هذا فيه فكان يحدثه ويجيبه عما يسأل ؛وقد بينت هذا فى ص (١٣٠ ـ ١٣٥) ؛ فلم يترك ذلك مجالا للعجبمن كثرة حديثه . وقد شهدتله الصحابة بمكانته وحفظه ؛ وذكرت ادلة كثيرة على ذلك انظر ص (١٤٥) وما بعدها و ص (١٩٠) وما بعدها .

٥ ـ حين درست شخصية أبى هريرة لم أتصور نتيجة معينة قبل البحث ؛ فسلكت أقوم الطرق العلمية ؛ واذا بالحقيقة والتاريخ يحددان معالم تلك الشخصية الانسانية العظيمة ؛ ولم أكتف بهذا فى الدفاع عنه ؛ بل اتبعت طرق النقد العلمى؛وواضح هذا فى ص (٢٣٠ ـ ٢٣٢ ـ ٢٤٨ ـ ٢٤٩) وما بعدها و ص (٣١٦) وغيرها .

كما أنى لم أكتف ببيان مكانة أبى هريرةفى أوج العدالة والتوثيق ، بل ناقشت بعض ما اثاره أعداؤه حول بعض مروياته ؛ وبينت وجه الحق فيها ؛ووضوح تحامل أعدائه عليه ؛ (انظر ص ٢٧٠ ؛ وما بعدها و ص ٣٠٨ وما بعدها و ص ٣١٩) ونتيجة لهذا البحث لم أجد ما يؤخذ عليه ؛ فلم أناقش جميع مروياته لضيق المقام ، وطالبت العلماء بالتأكد من هذا فقلت فى ص(٣١٤) « وانىأدعو العلماءالمنصفين الى استقراء مرويات أبى هريرة ـ وأجمع مالدينا مسند الامامأحمد ـ فانهم لن يجدوا له حديثايخالف فيه الاصول العامة للشريعة ؛ أو يتفرد بحديث شاذ ينكر عليه ؛ وما من حديث استشهد به الكاتب الا عرف المحدثون والنقاد قيمته .. »

٦ ـ حرصت فى كتابى على المنهج العلمى وأكدت ذلك فى ص (٢١٢) حيث قلت : (وستكون هذه الدراسة على ضوء ما عرفناه من حياة أبى هريرة وعلمه فى الباب السابق ؛ ولن أبادل الطاعنين استهزاءهم وازدراءهم لأبى هريرة بازدراء مثله ، ولن أرد شتائمهم وسبابهم وافتراءاتهم بمثل ما فعلوا ؛ لان المنهج العلمى يأبى هذا كله) ؛ ونفذت هذا فعلا ؛ ولم أتعمد التشفى وخشونة الالفاظ ـ كما ذكرتم ـ ولعل بعض ما رأيتم فى الكتاب هو من لفظ من نقلت عنه من أعداء أبى هريرة للرد عليه .

اما أنى اتهمت أحدا بالزندقة والمروق فهذا مما أنزه عنه قلمى ولسانى ونفسى التى وقفتها من أجل السنة الشريفة والحقيقة العلمية ؛ والدفاع عن السنة أسمى من أن يعتريه تفسيق وتكفير ، وليس بين دفتى كتابى شىء من هذا من قولى وكل ما هنالك شهادة صدق لابن خزيمة (٢٢٣ ـ ٣١١ هـ) فى أبى هريرة ذكرتها فى ص (٣٢٩) ؛ قد تبدوقاسية .. ولكنها ـ مع قسوتها ـ بالنسبة لما رموا به أبا هريرة كالحرير الناعم تجاه الشوك الجارح ؛ فقد قذفوه بألفاظ تدمى القلوب ؛ ويندى لها جبين الانسانية ؛ وتتنافى مع المنهج العلمى ؛ تحمل ألوانا من الباطل ؛ الذى يخالف العلم والتاريخ .

وأخيرا فان ما كتبته الى الاستاذ السمان لا يعدو الحرص على الحقيقة العلمية التى نسعى اليهاجميعا والله الموفق الى الصواب .

محمد عجاج الخطيب

مطر في الفجر

للأستاذ ادوارد حنا سعد

على نافذتي بنـان المطر   تدق فتوقظني للسـحر
صـديق الطفولة مسـترجع   لقلبي غوالي الرؤى والذكر
فتحت له شرفتي مثلمـا   تلاقي الشتيتان بعد السفر
تقبلني قطرات الرذاذ   وتمرق لامعـة كالدرر
وقد جف في الغرب غصن الظلام   ونور في الشرق ورد السحر

❋ ❋ ❋

خطاك الرتيبة في شرفتي   خفوق فؤاد يحس الشجى
غسـلن فؤادي من كدرة   ألمت به وأذبن الأسى
شعرت بروحي تنـدى كما   ترف الازاهير تحت الندى
وتورق كالغصـن ان جدته   وتفرح كالقفر بعد الظما
وتلمع .. مثل الطريق الجديد   اذا سرت فيه زها وازدهى

❋ ❋ ❋

فيا واهب الكون سر الحيـ   ـاة وسرك مستبهم مغلق
تخال بروحي .. كحب اللعوب   وتبخل ان شئت أو تغدق
يهش الكريم لبذل العطاء   وأنت به مرعد مبرق
ومنك النقائض .. روض يجف   وكوخ بساكنه يغرق
وواد يضـيق بهطاله   وواد الى قطرة شيق

❋ ❋ ❋

ويا ابن السمو ويا ابن الصفاء   اليك انتهت غاليات الرجاء
فلم يبق في الأرض من عنصريـ   ـك سوى نفحة من شذى الانبياء
سوى شاعر يستشف الاله   بكل جمال خبا او اضاء
سوى عاشق اريحي الحنين   كيعقوب .. أو عيسوى الحياء
فيفنى بأحبـابه ذاته   ويعرف – في الله – معنى الفناء

❋ ❋ ❋

كلانا على الارض ملقى بهـا   ومنبعنا من معين السما
اذا ما تسـامى بأرواحنـا   جناح الصفاء .. وهى وارتمى
فلما نزل بين تصـعيدة   وأخرى عائقة شردا حوما
ويكرهنا نفر بالحمى   ونحن نحن هوى بالحمى
اذا جدت لاموا فياويحهم   وان جرت لم أجد اللوما

ادوار حنا سعد

يقظة العملاق

للأستاذ حمزه الطفيلي

لا وربي .. لن نضلا   هو ذا النور تجلى
وتلالا في حمانا   زاهرا كي تستدلا
لاح لليل فلم الليل   ما ألقى وولى
هو اعصار الأماني   يهتك الليل المضلا
هو قبس من اله   قادر عز وجلا
هو سيف يعربي   ليس يخشى أن يفلا
هو بعض من كيان   قام يحيى الآن كلا
هو عملاق تهادى   ينشد المجد الأجلا
ليس يخطو خطوة   الا وفيها حل غلا
ثابت الخطو خطاه   نزهت عن أن تضلا
ثاقب اللحظ كأن اللحظ   سيف الحق سلا
ضاحك الثغر كأن   الثغر فجر قد أطلا
عربي بأسرار   يعربي يتجلى
كلما بث شعاعا   حالك الليل اضمحلا
ويروم الليل كيدا   فيقول النور : « كلا ..
ان تلهفنا لسلم   ليس معنى السلم ذلا
انما السلم شعوب   قررت أن تستقلا

حمزه الطفيل – بعلبك

نجوى

للشاعر محمد فتحي عبد المنعم

يا نسيم المساء ذكرت قلبي   بهجة الحب يا نسيم المساء
حين كانت مناي تصدقني الود   وكان الزمان في اغفاء
والأغاريد في فمي ثملات   برحيق السعادة الخضراء
قبل ان يقرم السهاد بعيني   وتصلى سعيره احشائي
أين هذا العبير ينفح قلبي   بنعيم الهوى وحلو الرجاء ؟
أين أحلامي التي طالما طا   رت روحي الى عنان السماء ؟
أين اوهامي التي كان فيها   كل ما اشتهيه من نعمائي ؟
لم يدع لي الزمان منها سرابا   أبتغي في سناه بعض العزاء
شاب قلبي ولم أزل في شبابي   ومشيب القلوب سر الفناء
صار كالزهرة التي خاصمتها   شاعة الصبح نفحة الأنداء
فتمشى فيها الذبول والقى   بحلاها الى الردى والهباء
ذلك القلب لم يعد منه الا   لوعة في اثارة من عناء
أنكرتني الحياة وانتبذت بي   جانبا خاليا من الاحياء
حرمتني مرارة الهجر والوصـ   ـل وبرد المنى وحر الشتاء
ليت شعري اليس يبعث قلبي   أم سيقضي الزمان تحت العفاء ؟

العملية النقدية

للأستاذ عبد الحي دياب

كثر النقاش والجدل في الآونة الأخيرة حول العملية النقدية للادب والفن على سواء ، ومن خلال هذا النقاش وذلك الجدل تنطلق الدعاوى الجريئة التى لاتستند الى واقع علمى صحيح .. **فهذا تأثرى ، وذاك موضوعى ، وهذا شتام ، وذاك مهرج ، وهذا يلف ويدور ويحوم حول الموضوع الذى ينقده ، ولا يدلف الى جوهره وصميمه ، وذاك يدخل الى الموضوع مباشرة دون التناتة هنا او انعطافة هناك ، لان ، هدفه الرئيسى هو الوصول الى جوهر الموضوع وصميمه ليستطيع ان يخرج منه بالقيم الانسانية والفنية دون ما اهتزاز او انحراف ..**

دعاوى غريبة وجريئة :

واشد منها غرابة وجراة ان كل **دعوى** منها يستند صاحبها فى تدعيمها الى مدرسة نقدية ، أو مذهب نقدى يعتنقه ، ومن ثم كان خطر هاتيك الدعاوى هائلا مخيفا ، لانها ملأت علينا حياتنا الادبية ، وغدت دستور من يحاول النقد فى شبيبته او فى مراحله الاولى فى عالم النقد الادبى والفنى ، وذلك لكى يغطى على لين عظامه فى مضمار النقد ، لانها لا تقوى على الصمود فى هذا الميدان الذى يشبه الحروب الطاحنة الضروس ..

وهكذا تتشعب الاتجاهات فى العملية النقدية تشعبا لا اجتماع بعده ، لان الخطأ وقع منذ البداية لدى النقاد الذين يعالجون النقد الادبى والفنى على سواء فى بلادنا ، وغدا كل ناقد منهم يهون من الاتجاهات الأخرى التى يقف عندها أقرانه من النقاد الآخرين لا يريمون ، ومن هنا يسوغ لدينا ان نقول ان العملية النقدية أصبحت ضربا من التهريج والفوضى ، ولكنه تهريج وفوضى على أسس يزعم اصحابها انها علمية ومنهجية ..

وللوقوف على ذلك التهريج وهاتيك الفوضى لا بد ان نقف على العملية النقدية فى حقيقة امرها .. ونتساءل حينئذ هل هى تأثرية فقط ؟! ام موضوعية فحسب ؟ هل هى الشتم والتهريج ؟؟ ام هى اللف والدوران حول الموضوع دون ان ينفذ الناقد الى صميمه وجوهره ..

وفى اعتقادنا أن العملية النقدية لا تخلو من التأثرية ، ولكنها ليست تأثرية الاحساسيين الذين يتحدثون عن العمل الادبى من واقع الاثر الذى تركه العمل الادبى فى نفوسهم ووقعه فى أذواقهم ، ثم لا يبالون بعد هذا بمقياس معلوم يمكن القياس عليه والاحتكام فى المسائل المتشابهة اليه، لان النقد الذى لا يعتمد على مقاييس غير ذوق صاحبه ، ولا غاية له ولا هدف الا أن يخرج الناقد بك من العمل الادبى بأثر يدعيه ولا يقبل المحاسبة فيه ، لانه ذوقه الخاص واحساسه الخاص ، وهو يراه هكذا .. الى آخر هذه التعلات الواهية التى يتعلل بها لكى يقبل الناس احكامه... مثل هذا النقد ضرب من الثرثرة يستحق بجدارة الا نصغى اليه ،والا نقف عنده ساعة من نهار أو ساعة من ليل ، اما التأثرية التى نقصدها فهى تأثرية الناقد المثقف الذى نال حظا كبيرا من الثقافة النقدية ، ووقف على المقاييس النقدية فى عمقها واصالتها ، ثم ترسبت تلك المقاييس فى نفسه فتحورت وسائل الادراك لديه ، بحيث اصبح الذوق ذوقا آخر .. ذوقا خالقا مبتكرا ، وغدت العاطفة غير شائعة ولا مكرورة ، والاحساس عميقا لا كذب فيه ولا ادعاء ، اى انه اصبح انسانا آخر قد تغيرت نظرته الى الحياة والاحياء وعمق وعيه الكونى فى هذا الوجود ، وبالتالى تتغير نظرته الى الفن والاعمال الادبية على سواء .

ومن هذا القبيل ما عالجه الاستاذ يحيى حقى فى كتابه « خطوات فى النقد » ، اذا أن منهجه فى

نقده كان تأثريا بالمعنى الثانى لا بالمعنى الاول ، ونحن لا نطلب منه فى معالجته للنقد أن يصنع أكثر من هذا ، وحسبه أن يكون فنانا مبدعا ، ومثقفا ثقافة نقدية ان لم تزد على الكثير من نقادنا الذين يملئون سماء صحفنا بالضجيج والعجيج والمصطلحات النقدية التى ليس لها أساس فى عالم النقد اللهم الا ان تكون كالنازلة التى ليس لها من دون الله كاشفة ..

نقول ان لم يزد يحيى حقى على هؤلاء فى الثقافة النقدية فانه سيساويهم ، ولكن الفنان فيه يحول دون تعليل لازاله النقدية التى خرج بها فى خطواته تعليلا موضوعيا على الطريقة التى يروج بها دعاة السوء لتشويه هذا العمل من فنان ينظر فى أعمال الآخرين بعين الفنان ونظرة الناقد دون ماحيثيات ومصطلحات تصل الى حد الانبعاجات الشفقية كما وصفها الاستاذ محمود السعدنى قبل ذلك . مع ان تلك الحيثيات وهذه المصطلحات من وجهة نظرنا ما اسهلها على يحيى حقى الدارس للقانون . والمثقف ثقافة تجعله يفهم الاشياء على حقيقتها ، والمحتفى بأسلوبه احتفاء **يجعله يجيد التعبير عما يريد ..**

والذى نريد ان نقوله الآن **ان التأثرية بالمعنى الثانى لا بد من وجودها فى العملية النقدية ، بل هى المرحلة الاولى فيها** ، ومن ثم فانه لا بد للناقد الخالق من المرحلة الثانية .. وهى **المرحلة الموضوعية** التى يزعم بعض الادعياء ان النقد لابد أن يكون موضوعيا فحسب ويقصدون بذلك الا يحتكم الناقد الى ذوقه واحساسه ، ولا بد أن يجرد من نفسه انسانا آخر بحيث يخرج من دائرة نفسه ، ويعطل ذوقه واحساسه وسائر وسائل ادراكه ، ليتسنى له أن يرصد حقائق التجربة الادبية وقيمها الفنية والانسانية .

والواقع الذى نعتقده أن الموضوعية بهذا الفهم لا توجد مطلقا ، لأن الانسان لا يستطيع ان يفهم التجربة وهو منفصل تماما عن نفسه ، لانه احد الناس الذين تخاطبهم التجربة من واقع قيمها الانسانية والفنية على سواء ، ومن هنا فهو متأثر بها · مؤثر فيها ، أى فى الحكم عليها من واقع ما ترسب فى نفسه تجاه ابطال الرواية أو المسرحية، أو الذات التى تعالجها القصيدة ، من حيث معرفته بهم فى واقع الحياة ..

ومن هنا ايضا **فان عملية التجريد هذه مستحيلة** من وجهة نظرنا ، لان الانسان لا يدرك حقيقة التجربة الا وهو حى يعاطفها وتعاطفه وتعطيه وتأخذ منه ، ولن يدركها أبدا وهى جثة هامدة ميتة يعمل فيها بمبضع النقاد المحترفين الذين يتخذون النقد مهنة واحترافا ، فيخطئون كثيرا ولا يصيبون الا قليلا ، أو لا يصيبون البتة .. **وفى تصورنا ان استحالة التجريد تكمن فى مظهرين احدهما فى جانب الناقد والاخر فى جانب الفنان صاحب التجربة** . أو الدارس صاحب الدراسة التى يعالجها الناقد .

فمن جانب الناقد فاننا نزعم انه لا يستطيع أن يتخلص من مقومات البيئة التى عاش فيها وهو طفل صغير ، وهذه المقومات تظهر بوضوح وجلاء فى كل أعماله التى يعالجها .. وتطبيقا لذلك نفرض ان مؤلفا مسرحيا صور شخصية خفير القرية ، أو شخصية شيخ البلد ، أو القارىء الذى يدور على البيوت فى قريتنا المصرية كل يوم .. لنفرض أنه صور هؤلاء جميعا ولم يرهم أو يعايشهم فى واقع الحياة .. اذا حدث هذا فان الناقد يتجه احساسه ووعيه الاجتماعى الى الشخصيات المصورة أول ما يتجه . وحينئذ يتساءل الناقد هل هى موجودة فى واقعنا القروى أم لا ؟! وذلك قبل ان يتبس بمقياس نقدى واحد ، لان المقاييس النقدية موضعها فى الحكم على هذه الشخصيات بعد ان يتحقق

الناقد من وجودها في واقع الحياة ..

وربما كانت ظاهرة عدم التخلص من الرواسب القديمة التي ترسبت في نفس الناقد في طفولته اظهر ما تكون في **الناقد التاريخ الانساني** . ذلك الناقد للتاريخ لا يرى بوضوح مواقف الفئات او الطبقات التي لا تتالف منها طبقته او فئته التي ينتمي اليها ، ومن ثم فانه يرى في كثير من الاحيان ان فئته او طبقته هي التي تستحق الخلود بما تقدمه للوطن من خدمات جلى ، وما عداها من الفئات الأخر لا يقدم شيئا يستحق الذكر اولا يقدم شيئا اصلا ، وهو عالة على أكتاف الآخرين .

فالناقد للتاريخ اذن يتعاطف مع فئته وطبقته ، ويرمى الفئات الأخريات بالتهم النكراء ويصفها بالحماقات وغيرها .

وليس ادل على ذلك من الناقد الذي ينشأ في القرية فيعرف ما يعانيه أهله وذوو قرباه من ذلك العمل الشاق ، ومن عيشة الكفاف التي يعيشونها ، ومن تلك الكلمات التي لا تزال ترن في اذنه والتي ينعى فيها القرويون على الذين يعيشون في المدن زاعمين أنهم افضل منهم لانهم الذين يزرعون الحبوب ليأكلها هؤلاء ، والقطن ليلبسوه ، ويبيتون ساهرين في العمل لزراعتهم وهؤلاء نائمون .. ان الناقد حينئذ لا يستطيع ان يبعد من ذهنه أن عمل هؤلاء بالنسبة للوطن عمل جليل ، وكذلك الشأن في الناقد الذي برز من صفوف العمال ومن الصفوف الأخر

وتطبيقا لهذه النظرة نرى الدكتور محمد انيس ، وهو عالم فاضل في التاريخ ، نراه ينحي باللائمة على الفلاحين في ثورة ١٩١٩ ، ويصفهم بالتخلي عن الثورة . والانفضاض من حول دعاتها ، ويثبت الفضل كل الفضل للعمال . نظرا لانه قاهري النشأة ، اذ نشأ في بيئة شعبية على ما نعتقد ، فلم ير الفلاحين الا من واقع ما كتب في الصحف عن ثورة ١٩١٩ ، أو ما كتبه بعض المؤرخين فيما نظن .

ونعتقد ان الاعتماد على كلا هذين المصدرين غير مأمون العواقب ، ومن هنا لم يبق المعايشة للفلاحين الذين اشتركوا في الثورة فعلا .. ولم تتيسر تلك المعايشة للكاتب فعلا فاعتمد الى حد ما على المذكرات الخاصة ، وهي فيما نعتقد لا يمكن الاعتماد عليها مائة في المائة ، لان الذي يكتب مذكراته انما يفلسف ويحسن من افعاله وافعال فئته ايضا ..

وليس معنى هذا ان كل مصدر من مصادر النقد الادبي قد الغى ، لاننا نهدف الى المنهج المتكامل في الدراسة ، الذي يأخذ حادثة من هنا على تصريح من هناك ، ونادرة من هنا ، على سلوك من هناك ، ويحيط الكاتب بالموقف من داخل البلاد وخارجها قبل الثورة واثناءها وبعدها .. وماذا حدث للثوار الذين يقودون تلك الثورة ، او الذين قد انكشف امرهم ، ثم يخرج في النهاية الى احكام مؤسسة على المنطق الواعي ببواطن الامور . . والذي ينصف الحقيقة ، لا فئة على فئة او طبقة على طبقة .. ولكن النشأة الريفية او العمالية تحول الى حد ما دون تحقيق هذا المنهج ، وخاصة مع النقاد الثائرين الذين يتصرفون بناء على احساسهم المبنى على ما ترسب في نفوسهم منذ ولدوا ، ومن هنا فان تجريد الناقد من عواطفه الخاصة واحساساته المبنية على ما ترسب في نفسه امر يكاد يكون ضربا من المحال ..

واما المظهر الثاني الذي يتمثل في جانب المبدع للدراسة او للعمل الادبي ، فان عملية تجريد الناقد من ذاتيته ليحتكم الى القوانين النقدية الصرف أمر لا يهدف الى غاية سليمة ، ولا يؤدي بنا الى غاية سليمة ايضا . ذلك ان ذاتية الناقد عليها المعول الكبير في فتح مغاليق نفس المنتج للتجربة — سواء كانت علمية او فنية — والوصول الى مفتاح نفسه ومحور حياته .

عبد الحي دياب

في موكب العلم

القمر

ابن الأرض ؛ أم شقيقها ؛ أم عمها ؟

بقلم فوزى الشتوى

هل القمر ابن الارض ، او شقيقها ؛ او عمها ؟

كان هذا السؤال موضوع نقاش أثاره الدكتور ، هارولد يورى ، الحائز على جائزة نوبل العالمية عندما تحدث عن أصل القمر والارض أيضا ٠ ورغم ان نقاشه قريب العهد ، فان ما ظهر من نظريات وآراء يضيف كل أنواع القرابة بين الكوكبين ؛ ولا يكاد يمضى الآن أسبوع واحد ؛ حتى يوافينا البريد العلمى بحديث جديد عن القمر ٠ لعل السبب هو أن العلماء يحاولون من ناحية تمهيد الطريق لرواده؛ ويريدون من ناحية أخرى الظفر بمكانة علمية ممتازة؛ اذا ما صحت تكهناتهم عن هذا الجرم السماوى ٠

ابن الأرض :

أما كيف صار القمر نجلا للارض ؛ فيرجع الى نظرية أعلنها فى أواخر القرن الماضى العالم البريطانى سير «جورج داروين» ابن ، تشارلس داروين ، صاحب نظرية التطور ٠ وتختلف نظريته عن الاخرى القائلة بان جرما سماويا مر بالارض أو صدمها ؛ وبفعل الجذب او الصدمة ، انفصل القمر عن امه الارض ؛ بعد أن كان يحتل الرقعة التى نسميها الآن بالمحيط الهادى ٠

كانت نظرية جورج داروين تحاول تفسير اختلاف كثافة مادة القمر عن كثافة مادة الارض وغيرها من توابع الشمس كالمريخ والزهرة وعطارد ، اذ تتفاوت بين ٤ و ٦ جرامات للسنتيمتر المكعب ، بينما كثافة القمر اقل منها وتقدر بنحو ٣ر٤ جرام للسنتيمتر؛ أى أنك لو وازنت بين كثافة مادتى القمر والارض فانك تجد أن ثلثين من السنتيمتر المكعب من مادة الارض تساوى حجم سنتيمتر مكعب كاملا من مادة القمر ؛ فما هو سر الثلث الناقص ؟

ورأى داروين الابن أن سر النقص يقبع فى الارض ذاتها لان مادتها الثقيلة أو عناصرها المعدنية الكبيرة الكثافة موجودة فى داخلها ؛ وفى جوفها ؛ بينما قشرتها تتألف من عناصر اقل كثافة ؛ مما ينشأ عادة عن عملية الدوران التى تسحب المواد الثقيلة الى المركز ؛ وتترك المواد الاقل كثافة للاطراف ؛ وعلى هذا الاساس فاذا ما انفصلت كتلة من مادة القشرة؛ فانها تكون أقل كثافة من مادة المركز ٠

اما كيف حدث هذا الانفصال ؛ فعزاه العالم البريطانى الى عوامل المد والجزر الشمسية ، فكواكب الارض ؛ والمريخ؛ والمشترى ؛ وبلوتو كلها مشدودة الى الشمس بقوة جذبها٠ وهذه القوة هى التى تحدد مدار الكوكب حول أمه الشمس ٠ ومن الطبيعى أن يكون لهذه القوة تأثيرات متباينة على الكوكب ؛ مما نرى مثلا له فى ارتفاع ماء البحر أى المد كلما هل القمر ٠ ويعتقد فريق من العلماء أن نفس عملية الرفع تحدث فى يابسة الارض ، ولكننا لا نحسها بسبب ضعفها الناشىء عن قلة مرونة اليابسة اذا ما قورنت بالماء ٠

شقيقان :

ولم تعمر هذه النظرية كسواها من النظريات ؛ واعتبرها العلماء من ثلاثين سنة كشىء عسير التحقيق من الناحية الطبيعية ٠ وبقى السؤال المحير من أين جاء القمر بهذا الشذوذ العجيب فى تكوينه ؟

وقيل أن الارض والقمر شقيقان أو توأمان نشأ وتكونا فى أثناء تكوين النظام الشمسى٠ فمن حقب بعيدة كانت اجرام الكون ومنه العالم الشمسى سحبا

أو مجموعات من السحب المؤلفة من التراب الكوني. وبفعل التجاذب والعوامل الطبيعية تجمعت هذه الجسيمات في المركز لتؤلف الشموس ؛ ومن حولها وفي الاطراف تألفت الكواكب .

وفي مدار حول الشمس تألف كوكبا الارض والقمر . وكان مداراهما متقاربين، وبفعل قوة الارض جذبت القمر ، ليكون تابعا لها . وتفسر هذه الفكرة شذوذ القمر من حيث الضخامة ، فهو الوحيد في اقمار كواكب العالم الشمسي الذي يتمتع بحجم غير متناسب مع حجم الكوكب الذي يدور حوله ؛ مما يشاهد في اقمار المريخ والمشتري وغيرها، وكلها صغيرة بالنسبة لكوكبها .

ولم يستطع علماء الطبيعة أن يهضموا فكرة أن الاجسام الكبيرة تجذب المواد الاكثر كثافة بينما الاجرام الصغيرة تجذب ؛ وتتألف من اجرام أقل كثافة .

أحدث النظريات :

وكانت أحدث النظريات ما أعلنه الدكتور « هانز القافن » من المعهد الفني في استوكهولم بالسويد في ١٩٦٠ اذ رأى تكوين العالم الشمسي في ثلاث مراحل. وفي الاولى منها تجمعت جسيمات النثار الكوني لتؤلف الشمس في مركز كرة السحاب . وبفعل تجمع هذه الجسيمات حدث تضاغط ، وارتفعت درجة الحرارة ، فاحدثت تفاعلا نوويا ؛ وبدأت الشمس ترسل لهيبها لتبدأ المرحلة الثانية بأن ارسلت تأثيرات كهربائية ومغناطيسية عملت على تجميع النثار في حلقات حول الشمس ، وفي هذه الحلقات تكونت الكواكب .

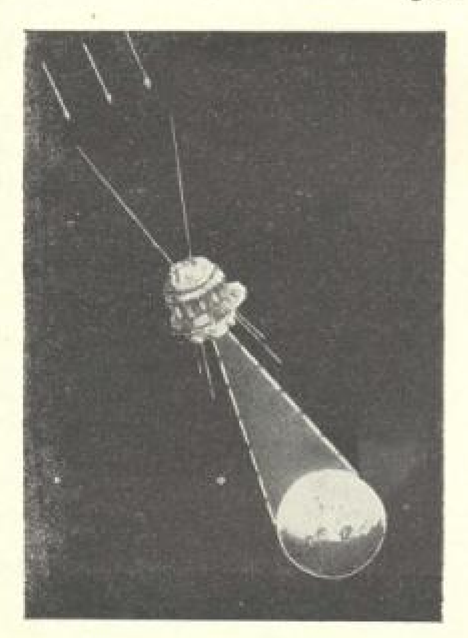
وأخيرا بدأت مرحلة تكوين الاقمار من النثار الذي كان يدور حول الكواكب . ومن الجائز في هذه الحالة أن تكون مادة القمر أقل كثافة من الارض ، لانه تألف من مادة الاطراف الخفيفة بالنسبة لمادة المركز. وهنا تواجهنا مشكلة ضخامة قمرنا اذا ماقورن بحجم الارض ، فاكبر الاقمار في العالم الشمسي صغير جدا بالنسبة للكوكب الذي يدور حوله .

عم الارض :

ويقول الدكتور « يوري » ومن العجب العجاب أن كثافة القمر أكثر قليلا من كثافة مادة الشمس بعد استبعاد المواد الغازية منها كالايدروجين والهليوم وغيرهما . فكيف تقاربت مواد القمر والشمس وتباعدت مواد الكواكب ؟

وبهذا التساؤل يثير مشكلة عمومة القمر للارض، بل عمومة كل الاقمار لكل الكواكب . فمن الجائز أن الاقمار تكونت في مرحلة سبقت تكوين الكواكب . ومن هنا كانت مادتها قريبة الشبه بمادة الشمس اذ تكونت بعدها بفترة ؛ ثم مضى الزمان يحور في نثار الكون ويصنفه بطريقة لا تزال مجهولة ، ولما تم التصنيف واختلفت الكثافة تكونت الكواكب ؛ ومنها ارضنا التي جاءت الى الوجود بعد أن تغيرت المادة ؛ فظهرت الارض لتجد عمها القمر يسبح في مداره .

من هذا التسلسل يرى الدكتور « يوري » وغيره من العلماء أن القمر يملك أسرارا يحتمل أن تكشف أسرار العالم الشمسي كله ، فهو يراه بدائيا سبق الارض في التكوين ؛ بل هو أقرب الاجرام الى الشمس ؛ وفيه من الجائز أن نعرف كيف خلقت الارض .



● المحطة الروسية لونيك ٣ وهي تلتقط الوجه الخلفي للقمر عندما كان ضوء الشمس (الاسهم) موجها اليه .

القارات من القمر :

اما كيف صار القمر تابعا للارض؛ فنظرية جديدة للعالم السويدى « الفافن» اذ يقول ان القمر كان ضعف كتلته الحالية من ٣ او ٤ بليون سنة • وكان يدور حول الشمس ، وأن الارض كانت تدور قريبة منه ؛ ولكن فى عكس اتجاهه • وبطبيعة الحال كان كل منهما يتعرض لعوامل المد والجزر كلما اقترب احدهما من الآخر •

وبالحساب قدر أن موجات الماء فى نوبات المد كانت ترتفع الى نحو ٨ كيلومترات على سطح الارض • وفى احدى المرات تداخلت عوامل جديدة جعلت الارض تستبد بالقمر ، فتجذب نصف كتلته وتضيفها الى كتلتها لتؤلف القارات ؛ كما تجذبه هو نفسه ليصير تابعا لها • على أنها لم تظفر بهذه الغنيمة بسهولة ، بل ان قوة جاذبية القمر تمكنت بمساعدة عوامل أخرى من تحويل اتجاه دوران الارض مما جعلها تدور فى وضعها الحالى •

وايا كان أصل قمرنا الارضى ؛ فانه يبدو كثير التشابه من قمرى المريخ ديموس وفوبوس • حقيقة أن كلا منهما صغير جدا بالنسبة لكوكبه المريخ ؛ ولكن الثابت من التحليلات المختلفة أن كثافتهما قليلة حتى أن بعض علماء روسيا قالوا بانهما اجوفين، ومن دراسة تفاصيلهما اذاعوا أنهما أقمار صناعية اطلقها سكان المريخ عندما كان كوكبهم يحتضر • ويحتضن الدكتور توماس جولد من جامعة كورنيل الامريكية فكرة أن قمرنا الارضى مجوف أيضا ؛ وانه يحوى فى داخله الماء والثلج •

على أن تشابه قلة الكثافة فى هذين القمرين ؛ وفى القمر الارضى ؛ توحى بأن الاقمار فى العالم الشمسى نشأت بطريقة واحدة ؛ أو جهاز طبيعى واحد كون قمرى المريخ ؛ كما كون قمر الارض •

ومن المرجح أن سر هذا الجهاز مسجل على قمرنا الارضى الذى يعد من أعظم الحفريات المحتفظة بتاريخ العالم الشمسى •

عصوره الجيولوجية :

ولا يقف العلماء عند بحوث أصل القمر ؛ وكيف نشأ ؛ ومدى صلابة قشرته ؛ بل يحاولون تأليف فكرة عن تاريخه؛ والعصور الجيولوجية التى مرت به• ولعل أبرع الدراسات فى هذا السبيل ما تنشره الدكتور « يوجين شو ميكر » من قسم الدراسات الفلكية بمصلحة الجيولوجيا الامريكى • وهو من انصار الراى القائل بأن فوهات القمر نشأت بفعل تساقط الشهب والنيازك على سطحه • ولا يوافق « كوزيريف » الروسى على أنها من أصل بركانى •

وعلى أساس البيانات التى أمكن جمعها عن هذه الفوهات ، وعن سطح القمر وجباله بمعونة أجهزة الرصد المختلفة سواء أكانت مناظير بصرية أو مناظير راديو أو تحاليل طيفية ؛ على أساس هذه البيانات ألف فكرة عن التاريخ الجيولوجى للقمر ؛ وأطلق على عصوره أسماء أشهر المعالم مستخدما الالفاظ اللاتينية التى تختلف عن العربية فى معناها •

من هذه الدراسات قدر أن أول تكوين لمعالم القمر حدث من ٤ بليون سنة حين سقط عليه نيزك او كويكب قطره ١٦٠ كيلومترا ؛ فاحدث الفوهة المعروفة باسم بحر الامطار (امبريوم)• ومن البديهى أن الصدمة لم تكن هينة ؛ بل أحدثت فجوة قطرها ١١٠٠ كيلومتر مربع • ومنها تناثرت كميات هائلة من الركام الذى غطى كل السطح المرئى من القمر •

ومن هذا الركام ما أحدث فجواته فى سطح القمر وقدر عمق بعضها بعدة آلاف من الاقدام • وعلى هذا العصر أطلق اسم « النظام الامبريى » ، وجعله العصر الثانى فى تاريخ القمر ويسبقه « ما قبل الامبريى » حين كان سطح القمر خاليا من الفجوات •

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

شعر المهرجان فى الميزان

لما أخذت أستمع الى شعراء المهرجان افتقدت شيئا .. جعلت أبحث عنه أو أنتظر سماعه ..

استمعت الى الفحول الذين ألقوا فى البدء ، فلم أجد بغيتى ، ولمحت شعراء شبانا اقتربوا مما أريد ، ولكنهم – بحكم أنهم لا يزالون – لم يبلغوا المستوى .

اريد ، كما يريد كل متلق للشعر فى هذا العصر ، تعبيرا عن انفعال مركز فى «وحدة موضوعية» يغوص الشاعر فى أعماقها ، وتمتد رؤيته الشعرية الى أبعادها ، ويؤدى ذلك الينا اداء فنيا تتوافر له القوة من التمرس والأصالة البعيدة عن المحاكاة والترديد .

كان بعض الشعراء يحاول الوصول الى ذلك الغرض ، ولكنهم يقفون عند مستوياتهم .. بعضهم فى مرحلة من العمر بلغوا فيها المستوى الشاعرى الذى قسم لهم .. والبعض الآخر لا يزال فى الطريق الى النضج المأمول .

واول ما استرعى انتباهى طاقات كبيرة مبددة ، لها امكانيات من الطبع الشاعرى المتاصل ، ومن طول المراس والتفنن ، ولكنها تتوزع .

رائية صالح جودت

أظهر مثال لهذا النوع الاستاذ صالح جودت عنوان قصيدته « بلقيس » ولكن بلقيس – على نحو ما صورها – موضوع من عدة موضوعات فى القصيدة . ولست أرى لها عنوانا أوفى بها فى « **رائية صالح جودت** » **لأنها على قافية الراء ، وهذه الراء واسم الشاعر هى الشيئان الوحيدان اللذان يدلان على مجموع القصيدة .**

والقصيدة من وحى رحلة صاحبها الى اليمن ، وهو شاعر يهيم بالعيون والشفاة والقوام والملمس الحرير ، ولم يجد هذه الأشياء هناك ، فعرج على « بلقيس » وأول ما تصوره منها العيون الحالمات والشفاه الحاليات ، أو كما يقول :

لمن العيون الحالمات المغريات بألف نظرة ؟
الشفاه الحاليات المسكرات بغير خمرة ؟
لمن الجبين الألمعى يذوب اشراقا ونضره ؟
لمن القوام السمهرى يزلزل الدنيا بخطرة ؟
لمن الحرير الموصل على حرير أرق بشرة ؟
لمن السرير تهابه الدنيا وتحسده الأسرة ؟
من ربة التاج الحبيب المزدهى بأجل غرة ؟

وقبل ان نمضى نسأل : اية عيون هذه التى لا تغرى الا اذا بلغت نظراتها الألف عدا ؟! وما معنى وصف الجبين بالالمعية ؟ والتاج .. حبيب من .. ؟

ومن تصور الشاعر لبلقيس او قصتها تمثل الجنس .. اذ يقول :

بلقيس . من وهبت حديث الجنس رونقه وسحره!

واذا كان يقول :

من مثلها بين الاناث نهى ومنزلة وقدرة ؟

فاننا لا نجد فى تصوره ، أو تصويره لها ، لا النهى ولا المنزلة ولا القدرة ! الا اذا كانت هذه الثلاثة فى الاغراء الجنسى .. ولهذا :

سحرت سليمان الحكيم ! فباع حكمته بنظرة !
ما ارخص حكمة الأنبياء ! وما اغلى النظرات !

وبعد ذلك ينتقل الشاعر الى « مارب » فيقص علينا أنه ذهب الى هناك وتساءل عن الجنتين والسد والعرش و ... و ... الخ ، فلم يجد الا الدمن والأعمدة ! ويدخل فى الجد ويجيد اذ يقول :

والشعب من حول الطلول هو الطلول المكفهرة
من كل وجه فى التراب يذوب مترَبة وصفرة
فاذا تلفت للسماء ولم يجد فى الغيم قطرة
واذا تمرغ فى التراب ولم يجد فى الأرض كسرة
سكنت جوانحه ! وأسلم للغد المجهول أمره

ويقارن مقارنة جدية بين حاضر اليمن وماضيه فيقول :

ما بال صناع السدود العاليات المشمخرة
أقوت حضارتهم فهم لا يصنعون اليوم جرة ؟

ويلتفت التفاتا جديا كذلك الى بلقيس ، فيخاطبها فى شعب اليمن كيف صبر وكيف استفاق :

قومى اشهدى الشعب الذى فرض الزمان عليه صبره
وعدا على اقداره واذله باذل اسرة
واضله بالقات ، فهو عن الحقائق رهن سكرة
واحله لهوى الأئمة يفرض العيش سخرة
قومى اشهدى كيف استفاق وبارك الرحمان دره

وبصرف النظر عن لفظ « دره » الذى فرضته القافية على الشاعر .. **فاننا نرى هذه الأبيات وما حولها مما يعبر عن شعب اليمن تمثل الموضوع**

الذى كان جديرا بالشاعر أن يتوفر عليه ويوليه جهد التعبير الشعرى .

ولا بأس بأن يستوحى بلقيس ما يخدم هذا الموضوع من حيث المقارنة بين الماضى والحاضر القريب. ولكنه أفسد هذا الموضوع بأمرين :

الأول جريه وراء العيون والشفاة والجسد الحريرى ... الخ ، فكان من هذا أن قدم لنا بلقيس فى صورتين أو عبر عن انفعاله نحوها فى صورتين : صورة الأنثى الفاتنة التى حببت حديث الجنس .. وأفقدت سليمان حكمته .. وصورة الملكة العظيمة التى كانت تقوم على شعب ذى حضارة عريقة . **وهما صورتان لا تجريان معا فى مجرى شعورى صادق .**

والأمر الثانى أنه شتت طاقته الشعرية بين الصورة الأولى والثانية وبين ما بعد ذلك من استجابة الجمهورية العربية المتحدة لنداء اليمن وشد أزره فى ثورته ، ومن التغنى بمصر ونيلها وبالوطن الذى رجع اليه ثم جاء الى ثغره (الاسكندرية) يلثمه ، وعرج على « سيدى بشر » ، **وعاودته هنا النوبة .. نوبة الجرى وراء الحسان فى سيدى بشر .**

وترك سيدى بشر عدوا الى « الشاطبى » حيث يلقى قصيدة من الشعر .. الشعر الحقيقى .. لا الشعر الجديد ..

لا ما يقول العابثون بكل قافية وشطرة
من كل مغمور يهب بغير موهبة وخبرة
أو كل مأجور يدب وفى يديه خضاب حمره
أو كل مغمور يدير الى عمود الشعر ظهره

ويهمنى من ناحية الصدق الفنى الذى لا فكاك منه فى أى عمل فنى حديث - يهمنى من هذه الناحية أن أسأل الأستاذ صالح جودت : هل يعتقد أن فلانا وفلانا من أصحاب الشعر الجديد مأجورون .؟ ولمن ؟ وهل يرى أنهم مغمورون .. ؟

اذا كان لا يعتقد ذلك فليس من الصدق الفنى ان يقوله .وان يراه حقا فليسمح لى أن أقول انه يغمض عينيه ولا يريد أن يفتحهما الا فى مقابلة العيون الحالمات .

الله أكبر

ومن القصائد التى تفقد وحدة الموضوع قصيدة الأستاذ عبد الله شمس الدين . **وهو شاعر اكتسب بجدارة شعبية محبوبة بنشيده « الله أكبر » وقد استقبله الجمهور بالتصفيق الحاد ، وهتف له بعضهم : الله أكبر .**

وأرجو أن يكون هذا الصديق واسع الصدر ، اذ أحاسبه هنا حسابا آخر قد يفسد عليه نشوة الالقاء « الرهيب » والترحيب فى المهرجان .

عنوان قصيدته « فى ظلال الدين » وقد بداها بما يذكرنا بقصيدة « ولد الهدى » لشوقى ، اذ يبدأها بقوله فى الرسول :

على بطحائها سطعا
فمزق ليلها قطعا

ثم عبر عن منزلة الأديان مستنكرا انحراف « زعيم البعث » فيقول :

يعيب تديننا فينا
وأنا نحفظ البيعا

ولست أدرى ماذا يقصد بالبيع ؟ هل ألجأته اليها ضرورة القافية ؟

ويستمر قائلا :

وأنا أمة شرفاء
لا نرضى الحمى مسلعا
وأن الدين رائدنا
كرمنا فيه مجتمعا
وأن جمال قائدنا
وقد صرنا له تبعا

ويمضى بعد هذا فى الحديث عن الثورة والتحرير وتأميم القناة وبناء السد العالى .. الخ .

ثم ينتقل الى زعماء البعث قائلا لهم :

فماذا يا دعاة السوء
يا سفهاء .. يا رقعا ؟
غدرتم بالحمى الأسنى
وفيكم يا له فجعا
به يجرى دم الأحرار
شلالا .. وما ضرعا

والذى أراه فى هذه القصيدة أنها أولا مثل كثير غيرها من قصائد المهرجان تفتقد وحدة الموضوع التى لا بد من توافرها لكى تتلقى من الشاعر تعبيرا عميقا يحصرنا معه فى بؤرة شعورية موحدة .

وهى ثانيا فقيرة فى الصور الشعرية ، وما فيها من صور قليلة من قبيل المحاكاة والترديد . فهى لا تزيد على النثر العادى غير الوزن والقافية .

هذا ولما كان القاء هذه القصيدة فى يوم ثورة العراق الأخيرة فقد أضاف اليها الشاعر أبياتا فى هذه المناسبة . وكان يجدر به ، وقد جاشت شاعريته

بتصحيح الاوضاع في القطر الشقيق ، أن يقول قصيدة أو ابياتا مستقلة فيهذا الموضوع ، كما فعل الأستاذ محمد التهامي . فكان بذلك يتفادى كثرة الموضوعات في القصيدة الواحدة .

والى اللقاء فيالاسبوع القادم مع شعر المهرجان .

اتحاد الادباء

تعقيبا على ما نشر في عدد الرسالة الماضي من الدعوة الى أن يكون للأدباء اتحاد يضم شملهم ويرعاهم ـ **اذكر ان هذا الاتحاد موجود فعلا ،** وهو يمثل الجمعيات الأدبية بالجمهورية العربية المتحدة ، ومجلس ادارته يتكون من طه حسين (رئيسا) وتوفيق الحكيم (نائبا للرئيس) وحسين فوزى (وكيلا) ويوسف السباعي (سكرتيرا عاما) ويحيى حقي (أمينا للصندوق) ومن أعضاء مجلس الادارة محمود تيمور ونجيب محفوظ وعزيز اباظة وامين الخولي وعبد الرحمن الشرقاوي ومصطفى عبد اللطيف السحرتي .

ومن أغراض الاتحاد المنصوص عليها في نظامه الاساسي **اعلاء كرامة الأدباء والدفاع عن مصالحهم وصيانة حقوقهم .**

وحقا ان الاتحاد لم يظهر له بعد أثر عملي فيحياة الأدباء او في الحياة العامة ، وذلك لانه لم يعتمد تكوينه الا منذ قليل . ومقره المؤقت نادي القصة وجمعية الادباء ، وسيتخذ له مقر يكون ناديا لجميع الأدباء وجمعياتهم ، وهناكاتجاه الى أنينتقل المجلس الاعلى من مكانه الى مكان آخر ، ويتخذ مكانه ناديا للأدباء .

وقد اجتمع مجلس الادارة من نحو شهرين وقرر عقد مؤتمر لأدباء الجمهورية بالقاهرة في مارس القادم ، وتكونت لجنة للاعداد لهذا المؤتمر ، وهي الآن توالي اجتماعاتها .

والأمل في امداد الاتحاد بالامكانيات التي تمكنه منتحقيقاغراضه ـ معقود بالدكتور محمد عبدالقادر حاتم وزير الثقافة ورئيس المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، الذي يهتم بالأدب والفن ورعاية الأدباء والفنانين والعمل على افادة البلاد بفنونهم ونشاطهم وتكوين شخصية المواطن العربي عن طريق الفن والثقافة .

عباس خضر

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

إقرأ في مجلة الثقافة

● ياله من عالم جديد رائع	**محمد فريد ابو حديد**
● مجتمع الكفاية والعدل والاشتراكية بين المبدأ والهدف (٢)	**خيرى حماد**
● الضمير البشرى في سبيل النضج والاكتمال(٢)	**د.سيد نوفل**
● التناسق والتنوع في الوطن العربي	**د.محمد محمود الصياد**
● سلطان الحاضر على الماضي	**د.عبد العزيز الاهواني**
● مات هكسلي	**محمود محمود**
● اختراعات عرفتها الطبيعة قبل الانسان	**د.احمد خليل**
● نظريات كارن هورني في التحليل النفسي	**فؤاد كامل عبد العزيز**
● صلوات صامته (قصيدة)	**نجاة شاور ربيع**

وزارة الثقافة والارشاد القومى

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

تقدم

السجل الثقافى

١ يحصر كل ما يتصل بالثقافة فى مصر من كتب مؤلفة ومترجمة ومحققة ورسائل جامعية وندوات ومحاضرات وافلام واسطوانات وأغانى .

٢ يصنف ذلك كله ابوابا ..

٣ يصدر كل باب من هذه الابواب بمقال دارس ينظر فى نتاج العام ويقيسه بما سلف ويرسم الطريق لنتاج احسن .

٤ يصدر هذا السجل كل عام ..

٥ سوف يسجل الماضى منذ مستهل القرن المتمم للعشرين كما يتابع الحاضر .

٦ يصدر هذا السجل . بالفرنسية والانجليزية الى جانب صدوره بالعربية .

٧ صدر من هذا السجل :

	صفحة	قرش
السجل الثقافى لسنة ١٩٥٩ بالعربية	٥٧٦	١٢٠
السجل الثقافى لسنة ١٩٦٠ «	٦٠٤	١٢٠
السجل الثقافى لسنة ١٩٥٩ بالانجليزية	٥٤٨	١٢٠

يطلب من **المكتبة القومية** ميدان عرابى ت ٤٦٣٨٣

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

النقد بين المتهيبين والمتعالين

منذ أيام أهدى الى أحد علماء الازهر الافاضل كتابه الجديد،الذى يقع فى أكثر من ثلثمائةوستين صفحة ؛ ومع الكتاب رسالة الرجاء فيها بعد التحية :

« ارسل اليك نسخة هدية من مؤلفى الاخير (٠٠٠٠) أرجو أن ينال قبولا ، ومن الصالح العام أن تذكر محاسن الكتاب ، ولا تنقده والسلام .. »

ودهشت وضحكت ، فما كنت أعتقد أن كاتبا يقدم على مثل هذا الانتاج الضخم ؛ ثم يتهيب النقد؛ ولاسيما اذا كان هذا الكاتب عالما فاضلا يؤمن بأن المؤمن مرآة أخيه ، ويردد فى وعظه وارشاده حكمة القائل : « رحم الله امرءا أهدى الينا عيوبنا » .

ومنذ شهور أذكر أنى نقدت كتابا لابن الجوزى عنوانه : (٠٠٠٠) فى مجلة الازهر ، وقسوت بعض القسوة على مراجع الكتاب ومحققه ــ وهو عالم فاضل ــ لانه لم يحسن الاختيار فشغل المكتبة العربية بكتاب ضخم كانت فى غنى عنه اولا ، ولان تحقيق الكتاب كما اراده ، كان تحقيقا سطحيا ، فلم يعلق على ما تناوله الكتاب من معان مسفة بل بالغة فى الاسفاف ، ومن مفاهيم تافهة تسىء الى الثقافة الاسلامية والعربية على السواء .

وعز على العالم الفاضل ما كتبت عن الكتاب وتحقيقه ، فرد على رد مطولا خلاصته : أننى لم أقرأ الكتاب ؛ واست أدرى : كيف سول له قلمه أن يخط هذا ، وقد نقدت عمله نقدا موضوعيا فى زهاء صفحتين .

وهكذا يشاء للنقد عندنا أن يتارجح بين تهيب المتهيبين وتعالى المتعالين ، دون أن ندرك أن الانتاج الادبى والفكرى لا يؤدى الغرض المنشود بدون تقييم لافكاره ، بالنقد النزيه المجرد عن الهوى والنزوة ؛ وأن الناقد الذى يلتزم أصول النقد ؛ وينزه قلمه عن الهوى ؛ كالمجتهد : ان اخطأ فله اجر ؛ وان اصاب فله أجران ؛ وأن الكاتب متى سمح لنفسه أن يقدم انتاجا فكريا ، عليه أن يتسع صدره لما يوجه اليه من نقد ، وأن يكون رياضيا واسع الافق ، لا يدع جانبا من الغرور يتملكه ؛ فيتوهم أنه فوق النقد والناقد معا .

اذن فلماذا نتهيب النقد أو نرفضه ؟؟

اذا كان هناك من يتهيب النقد ؛ فانما هم أولئك الذين ينتجون ، ولكنهم لا يثقون فيما ينتجون ، ولا يطمئنون اليه؛حتى اذا تعرضوا للنقد آثروا السلامة وكأنهم لم يقرأوا ما كتب عنهم ؛ ولم يشعروا به .

واذا كان هناك من يتعالى على النقد ؛ فانما هم أولئك الذين يتملكهم الغرور، وتزكم أنوفهم الكبرياء فيتوهمون أنه من حقهم أن يفرضوا أفكارهم على الناس دون ان يجرؤ أحد على مناقشتها .

وليس من المعقول أن نذر النقد حائرا بين تهيب المتهيبين وتعالى المتعالين ؛ وانما الواجب أن نضرب صفحا عن كلا الطرفين ، لانهما يعبثان بأفهامنا ، ويسخران من عقولنا ؛ ويشغلان حيزا من الفراغ يكون من الخير لهذا الحيز أن يظل فارغا .

صحيح أن هناك نقدا لا يعول عليه ، نقدا هزيلا ، لان المقصود منه مجرد الاستهلاك المحلى ؛ وهو نقد اما أن تدفع به العاطفة ، واما أن تدعو اليه رغبة التشفى ؛ واما أن تصوغه شهوة الشهرة ؛ ومثل هذا النقد مقضى عليه بالموت والتجاهل من ناحية ، ومن ناحية أخرى يجب أن لا يكون معوقا لركب النقد الجاد النزيه .

وصحيح مرة أخرى أن هناك نقدا يهدف الى الهدم لا البناء ، ويتجرد للتخريب لا التعمير لانه يعتمد على اثارة المشاغبات التى لا طائل تحتها ؛ ولهذا اللون من النقد هواة ومحترفون ؛ ليس من السهل أن يتنازلوا عنه ، لانه بالنسبة لهم أصبح كل رءوس اموالهم ؛ ولا يمكن أن يكون لهم عيش فى دنيا الادب اذا تخلوا عنه ساعة من ليل أو نهار ، ومثل هذا النقد أيضا مقضى عليه بالبوار ، يمجه كل ذوق أدبى وينفر منه كل طبع سليم ؛ ويجب أن لا يوقف عجلة النقد الأصيل البناء أيضا .

اذا كان العمل الادبى جزءا من حياتنا لا غنى لنا عنه ، لانه غذاء العقل والروح معا ؛ فان العملية **النقدية تتمة للعمل الادبى ، لانها تقييم له ، وكشف عن معدنه ، واقصاء زيفه وابراز جوهره .**

ومع ايماننا بهذا ايمانا راسخا ؛ الا أننا لا زلنا نعترف بوجود أزمة فى النقد ــ الجاد بالطبع ــ وبأن الكثرة الساحقة من الانتاج الادبى عندنا ؛ لا تقابل بجزء من مائة من النقد الذى يجب أن يواجهها ..

وربما كان هذا راجعا حينا الى أن الخواطر والمجاملات

التى تلعب دورا رئيسيا ، بسبب العلاقات الطيبة القائمة بين الاديب والناقد ، دون ما تقرير للامانة الادبية التى يرتبط ضمير الناقد ، وربما كان راجعا حينا آخر – الى أن النقد قد يبدأ بناء جادا ، ثم يم يتنزل الى مستوى المهاترة والمنابذة بين الاديب والناقد ، مما يجعل الناقد يتردد كثيرا قبل ان يقدم على عمله .

واذا كان هذا أو ذاك من معوقات العملية النقدية عندنا ، فان هناك شيئا يمكن أن ينمى عملية النقد ويروجها ، هذا الشيء هو الصلة بين الاديب والقاريء هذه الصلة التى تكاد تكون مفقودة لدينا ؛ بينما هى قائمة على قدم وساق فى الغرب ، فالاديب هناك لا يقل شأنا عن النجم السينمائى ، فهو على صلة وثيقة بقرائه وله عشاق معجبون ، يراسلونه ويراسلهم .

أما هنا فالصلة بين الاديب والقاريء ؛ ان وجدت فهى فى أضيق حيز ؛ وقد يدفع القاريء فى الكتاب عشرات القروش ؛ وقد ينفق الساعات الطوال فى قراءته ؛ ولكن يندر أن يكون لنفسه رأيا فيه ؛ وان حرص على أن يكون رأيا فيه ؛ فهو يحاول أن يحتفظ بهذا الرأى لنفسه ؛ وان فكر فى أن يذيعه أو ينشره فانما فى مجالسه الخاصة .. أما أن يفكر فى أن يرسل برأيه للأديب فهو آخر شيء يفكر فيه ؛ أى أن القاريء فى الغرب يعيش فى ايجابية متفاعلة ؛ والقاريء فى الشرق يعيش فى سلبية شاملة . وأن الاديب هناك يطبع من مؤلفه عشرات الآلاف وهو مطمئن غاية الاطمئنان ؛ وواثق كل الثقة فى رواج الكتاب ، ونفاده فى شهور معدودة ؛ وأن الاديب هنا يطبع بضعة آلاف ؛ وهو واضع يده على قلبه ؛ مشفق على كتابه غاية الاشفاق ؛ يخشى أن تصيبه دائرة البوار فتتأزم نفسه ، ويهتز تفكيره ؛ ويجدب ذهنه .

انه يطرق جميع أبواب الجهات الرسمية التى عرف عنها أنها قد تشجع الكتاب .. ويلجأ الى شتى وسائل الاعلان التى يمكن أن تعرف القراء بالكتاب ، ولا يرى مانعا من أن يبذل جانبا من التوسل ؛ ولا حائلا دون أن يبذل جانبا من كبرياء نفسه ؛ فالغاية عنده تبرر الوسيلة ؛ والغاية عنده أولا هى أن ينتهى من توزيع كتابه ..

وأنا هنا لا أقصد الادباء العمالقة ، الذين ترحب دور النشر بانتاجهم ، وتتهافت عليه ، وهم لدينا معدودون على أصابع اليدين ، فهؤلاء أصبح لهم نفوذ فى الاوساط الرسمية وغير الرسمية ؛ وانما أقصد الكثرة الكاثرة من الادباء ، ممن هم فى المتوسط وفوق المتوسط أو دونه ؛ فهؤلاء تتردد دور النشر عشرات المرات قبل أن تفكر فى نشر انتاجهم ؛ واذا فكرت جديا أملت عليهم شروطا أقسى من القسوة ذاتها .

وهكذا تؤكد لنا دور النشر أن لديها من الامكانيات لتقييم الاسماء ؛ وليس لديها – بكل أسف – القدرة على تقييم الانتاج الفكرى .

رحم الله الدكتور زكى مبارك : لقد كتب ذات مرة يحكى قصة من أغرب القصص : فذكر أنه أرسل قصيدة الى احدى الصحف وهو لم يزل فى بدء حياته ؛ وكان نصيبها الاهمال ؛ وبعد ان أصبح زكى مبارك : الدكاترة زكى مبارك ؛ طلبت منه نفس الصحيفة قصيدة تحلى بها صدر عددها الممتاز التى ستصدره بمناسبة احتفالها بمرور خمسة وعشرين عاما على صدورها ؛ وكان أن أرسل اليها نفس القصيدة التى لم ترحب بها من قبل الا سلة المهملات وعادت بعد أعوام لتحتل أبرز مكان وأرفع مكانة .

وعملية النقد عامل أساسى فى القضية ؛ فدور النشر تدرك يقينا أن الاديب الكبير سيلقى انتاجه – مهما كان ضعيفا – ترحيبا بالصحافة بشتى اتجاهاتها ؛ وستعنى به كل برامج الاذاعة والتليفزيون حتى ما كان منها من ضروب اللهو والتسلية ؛ وسوف يبادر نقادنا متطوعين بالاعلان عنه فى مقالاتهم واذاعاتهم .

وتدرك دور النشر أيضا أن الاديب المغمور – مهما كان انتاجه قيما – ان رحبت به بعض الصحف ففى حيز متواضع فى ركن أكثر تواضعا ؛ أما نقادنا فسيكونون أرفع من أن يشغلوا به ، وأوقاتهم أثمن من أن يضيعوها من أجله .

وهكذا يصبح الادب اقطاعيا احتكاريا ، ويصبح النقد الى جانبه ارستقراطيا متعاليا ؛ وأدب المغمورين وذوى المواهب الخلاقة المبدعة ؛ سيظل الى ما شاء الله ؛ أدبا مهملا ؛ حتى يلفظ أنفاسه الاخيرة .

وبعد – فان العملية النقدية لن تبلغ الهدف المنشود منها ؛ ولن نستطيع ان نفخر بان لدينا حركة نقدية بلغت حد النضوج ، الا اذا توافر لدينا نقاد فى نزاهة القضاء والمحلفين ، ووجد الكاتب الذى ينتج دون أن يتهيب النقد ؛ والكاتب الذى ينتج دون أن يتعالى على النقد والناقد معا ؛ ووجد بعد ذلك القاريء الايجابى الذى لا يضن على الكاتب بآرائه ، كما لم يضن هو عليه بعصارة أفكاره . محمد عبدالله السمان

الكتب نقد وتعريف

يقدمه
تحسين عبد الحي

تحيتكم من القاهرة

تشهد الاسكندرية الآن ـ اسبوعا للكتاب العربي ـ وذلك على غرار ماشهدته القاهرة منذ فترة وجيزة ٠٠ والاسكندرية كعاصمة ثانية للجمهورية العربية المتحدة ـ كانت طوال تاريخها ـ منبعا للثقافة والتقدم الفكري والحضاري في العالم ، يوم كان العالم المتحضر يشغل الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ـ متمثلا ـ في الامبراطوريات اليونانية والرومانية وما صاحبها من حضارات ـ هلينية ـ والتي اضفت عليها الاسكندرية الكثير من روح الشرق فاصبحت تعرف لدينا بالحضارة الهلينستية ، وكذلك الحضارة الرومانية التي كانت امتدادا لما قبلها ، وفي كلا الحالتين ، حملت الاسكندرية لواء الثقافة والمعرفة ، وكان للاسكندرية دائما رأيها المستقل في المجامع الدينية التي كانت تعقد أيام الامبراطورية الرومانية في زمن وحدتها وانقسامها ٠

فاذا كان اسبوع الكتاب العربي المنعقد الآن في الاسكندرية يمثل شيئا فهو يمثل النهضة الجديدة لاسكندريتنا الحبيبة ٠٠ بجماهيرنا العربية هناك بمثقفي ومفكري وشباب الاسكندرية ٠

ولا شك ان النجاح الكبير ـ الذي حققه الكتاب العربي في اسبوعيه الاول والثاني بالقاهرة سوف يكون باعثا قويا ، لتجاوب عميق بين الكتاب وجمهوره المتزايد في ثغرنا الجميل ٠

فمن القاهرة نحيي اسبوع الكتاب العربي بالاسكندرية متمنين لشعبنا هناك اسبوعا من الثقافة الانسانية في جو من المناقشة الحرة المفيدة وسوف يسجل التاريخ يوما جهود أولئك الذين يحتضنون ثقافتنا ويطوروها ليساعدوا على تقويمها وتعميقها وازدهارها يوم يؤرخ لنهضتنا الثقافية ٠
فالى المشرفين على هذا العمل الرائع والى الرواد والمحاضرين ٠ تحية من القاهرة ٠

مشكلة اللاجئين العرب

تأليف ـ الدكتور ادوارد سيدهم

يحتوي الكتاب على دراسة علمية وافية ـ لمشكلة اللاجئين العرب ـ بأبعادها المختلفة ـ مبينا دور الصهيونية في ايجادها ـ وكيف أن هذه المشكلة كانت نتيجة طبيعية لاستيلاء الصهاينة على فلسطين ـ وطرد العرب منها ـ فقد كانت دعوتهم دائما ـ وذلك كما عبر « اسرائيل زانكويل » ان فلسطين وطن بلا شعب ـ فيجب أن تكون لشعب بلا وطن ـ وعلى هذا الاساس هاجر اليهود من جميع انحاء العالم بمساعدة الحركة الصهيونية التي نظمت نفسها على مستويات مختلفة والتي تتكون من المؤتمر الصهيوني العالمي وهو الموجه الأعلى ـ والمجلس التنفيذي للمؤتمر ـ ويقوم بدور المشرع والمسئول عن تنفيذ هذه الحركة الصهيونية والوكالة اليهودية ـ وهي وكيل اليهود في فلسطين والمشرفة على تنفيذ الاغراض الصهيونية في فلسطين وادارة الوكالة اليهودية ـ وهي الجهاز التنفيذي للوكالة اليهودية ـ ثم الصناديق القومية ـ وهي المسئولة عن الاعمار في فلسطين مثل ـ كيرن كايميت ـ ، وكيرن هايسود ـ والجمعية الصهيونية العالمية ـ وهي التي تمد هذه المؤسسات

بالمال . وساعد هذا الجهاز الضخم للصهيونية المهاجرين وشجعهم على الهجرة الى فلسطين ومن هؤلاء المهاجرين تكونت عصابات الهاجانا وشترن — التى عجلت بطرد العرب من ديارهم حتى قبل قيام الحرب الفلسطينية — وذلك عن طريق اقامة المذابح العامة — كمذبحة ديرياسين التى ولدت الرعب والخوف فى نفوس عرب فلسطين العزل المسالمين — ونتيجة لهذه المذابح هرب أكثر من ٢٥٠٫٠٠٠ عربى قبل الحرب ولجأوا الى الدول العربية لحمايتهم .. واوضح الكتاب أنه فى الوقت الذى كان يعمل فيه اليهود بصورة منظمة — متكتلين لابراز وتاسيس وطن قومى فى فلسطين — كان العرب منقسمين تتقاذفهم الأطماع فالملك عبد الله يريد ضم الجزء الغربى فى فلسطين الى مملكته وسوريا تريد الاستيلاء على الجزء الشمالى من فلسطين وملوك مصر والسعودية يهابون الدخول فى حرب — ولبنان والعراق تريدان الحرب وليسوا على استعداد لخوضها — لقد كان التمزق والخلاف هما اللذان يحكمان العالم العربى وقد وضح ذلك فى مؤتمر انشاص — ومؤتمر بلودان — فى يونيو سنة ١٩٤٦ ..

ولقد ساعدت هذه الصورة المهزوزة للعرب على الاستهانة بأمرهم . من ذلك قول وايزمان « أنا لا أضارب مليم واحد فى بورصة اسطورة قوة العرب .. يا قوم اعطونا نحن اليهود — نصف فرصة — ونحن نكشف للعالم أن حكاية قوة العرب وتماسك العرب — ونفوذ العرب — هى حكاية كلها كذب فى كذب » .

وشرح المؤلف دور بريطانيا — فى اقامة اسرائيل وايجاد مشكلة اللاجئين — من منحها لليهود مراكز القوة التجارية والصناعية وتمليكها اياهم للأراضى الأميرية وتشجيعها لهم على الهجرة — فى سنوات الانتداب — وكذلك بين الكتاب دور الولايات المتحدة فى خلق اسرائيل وتدعيمها — وكيف أن الأمر وصل بالرئيس ترومان — المتهود — الى درجة تهديده بارسال وحدات من الجيش الامريكى لادخال ١٠٠٫٠٠٠ يهودى الى فلسطين بالقوة هذا عدى اعترافه بها فور اعلان قيامها — وكيف كان يسارع الديمقراطيون والجمهوريون فى الولايات المتحدة لارضاء اسرائيل ومدها بالمعونات المختلفة .

وشرح الكتاب تلك الحياة القاسية التى يحياها اللاجئون ونادى بضرورة مساعدتهم فى حياتهم تمهيدا لعودتهم لديارهم . وذلك لان الجوع الذى يعانية اللاجئون سوف يفقدهم القدرة على المطالبة بوطنهم — فالبحث عن الخبز والحياة كافيان لشغلهم عن وطنهم السليب . فاذا كنا نستصرخ العالم ونقول ان مشكلة اللاجئين مشكلة انسانية . فيجب أن نؤمن نحن بانسانية هؤلاء الجياع ونطعمهم — ولهذا يجب أن تساهم الدول العربية مجتمعة فى اطعام جزء من اللاجئين لان اطعامهم لن يضر بالقضية الفلسطينية ..

واسهب الكتاب فى شرح اثر مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على الدول العربية — وكيف ان — المشكلة كجزء من القضية الفلسطينية التى مازالت تمثل جرحا عميقا فى صميم الكرامة العربية — قد اثرت تاثيرا مباشرا فى مستقبل البلاد العربية نفسها — فثورة مصر العربية كانت رد فعل لما حدث فى فلسطين .

كما ورد فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١٩٥٥/١/٦ « لقد ابتلينا فى فلسطين وفقدنا العزة والكرامة والقوة ، ولهذا قمنا بالثورة » وشرح المؤلف نظرية العاطفة السائدة المعروفة فى علم النفس السياسى .. ومدى قوتها بالنسبة لقضية اللاجئين .. واوضح السر فى قوة هذه العاطفة تجاه فلسطين وذلك لان الانفعال الذى بنيت عليه — انفعال قوى نشأ فى الفالوجة وارتبط بحب البقاء والحياة — بالاضافة الى ارتباطها — باحترام الذات — واسترداد كرامتنا التى أهينت فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ . واورد الكتاب دور الجمهورية العربية المتحدة فى ابراز قضية اللاجئين ومساعداتها لهم وتنظيمها للجيش الفلسطينى وبنائها لسياستها الداخلية والخارجية على اساس — اعادة اللاجئين الى ديارهم واسترداد فلسطين — وخلص المؤلف من بحثه القيم عن مشكلة اللاجئين ، بأن اسرائيل تريد تحقيق الهدف الثانى من برنامج الصهيونية العالمية — وهو ان اسرائيل من دجلة الى وادى النيل — وعلى هذا الاساس — تحول المجتمع الاسرائيلى الى مجتمع حرب — بكل ما تحمله الكلمة من معنى — ولهذا يجب أن يوقف هذا الخطر فى مكانه ثم القضاء واعادة اللاجئين الى ديارهم — ولن يتاتى ذلك للعرب الا اذا وحدوا صفوفهم وقضوا على عناصر الخيانة والانفصالية فيما بينهم .. لان اسرائيل حصلت عن طريق الملك عبد الله الخائن العميل على مالم تحصل عليه فى مشروع التقسيم ولا حتى بالحرب فالوحدة — هى العنصر الوحيد اللازم للقضاء على اسرائيل واعادة اللاجئين الى ديارهم .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

تعليق على قصيدة شاعر الشباب

فى العدد الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر الجارى من جريدة « الاخبار » قصيدة للشاعر الكبير الاستاذ أحمد رامى بعنوان « معبد أبو سمبل » لى عليهــا تعليقات أجملها فيما يأتى :

١ ــ قال الشاعر ، وتنا لونه البهى عليها ذهبا سائلا وتبرا مهيلا ٠

والمعروف لغة أن التبر هو الذهب ســواء كان سائلا أو مهيلا ؛ فاختلاف اللفظ واتحاد المعنى اندل على شيء فانما يدل على ركوب الصعب اضــطرارا لا اختيارا وذلك أمر كان أحرى بشاعر الشباب الا يقع فيه أو يلجأ اليه ٠

٢ ــ ويقول فى بيت آخر :

واذا أقبل المساء ومالت شمســه للمغيب تنوى رحيلا ٠

والتصوير فيه مختل ٠٠ لان الشمس لا تميــل باقبال المساء ، والمساء اطباق الظلمة هنا وهناك فلا أثر لنور شمس ولا ذيول لغرب ٠ والشاعر يقصد « بالمساء » المغرب ٠٠ وهو غــيره لانه الفرقان بين الخيط الابيض والاسود ٠٠ وليس كذلك المساء ٠٠ لانه الظلام الدامس والليل البهيم ٠

٣ ــ وفى بيت آخر يقول مخاطبا « رمسيس » :

آن أن تبرح المكان الذى عشت على سطحه زمانا طويلا :

وكلنا يعلم أن رمسيس عاش زمانا طويلا (عــلى سطح) المكان ٠٠ وهو أمر بدهى لا يحتاج الى تنبيه ولا تقرير ٠٠ لانه لم يكن عائشا (فى بطن) المكان حتى يدل على سطحه ٠٠ والبيت بتمامه لا غنية فيه البتة ٠

٤ ــ ويقول فى موضع آخر :

ايه رمسيس ان علوت على السفح ٠٠٠ الخ ٠

والسفح لغة أســفل الجبل لا أعلاه ، فكيف يعلو على السفح رمسيس والسفح منزل ينزل اليــه ولا يصعد عليه ٠٠ لانه ــ كما قلت ــ من الجبل أسفله

٥ ــ وقال فى بيت آخر :

ثم قل لى اما ترى فى مجال الأفق صرحا يمتــد عرضا وطولا ٠

وكلمة (مجال) ليس لها مجال ٠٠ فليس للافق مجال لانه أفق ٠٠ والمجال محدود كالمجال المغناطيسى والمجال الكهربى ٠٠ أما المجال الأفقى فتعبير لا شاعرية فيه ؛ ولا وجود ٠

٦ ــ وفى بيت آخر يقول :

ضمن العز للحمى وتمنى أن يرى الخير فى البلاد جزيلا ٠

ولا يقال لمن ضمن العز للحمى أنه « يتمنى » ٠٠ لان الأمانى غير العمل وغير الكد والسعى والاصرار على بلوغ المنى ٠

الزيتون ــ عدنان أسعد

***

لويس ماسينيون

فى هــــذا الشــهر مرت ذكرى وفاة المستشرق (لويس ماسينيون) الاولى دون أن نقرأ كلمة عزاء ٠٠ لهذا الانسان الذى كرس حياته لخدمة العربية ٠٠ وكان أحد خمسة من المستشرقين الذين اختيروا أعضاء عاملين فى مجمع اللغة العربية فى ٦ أكتوبر عام ١٠٣٢ ٠٠٠ مع خمسة عشر عضوا عربيا لم يبق على قيد الحياة من هذا الرعيل سوى العضو التونسى الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ٠٠ والمستشرق الانجليزى (هـ٠جب) ٠٠ وبقية أعضاء المجمع الذين يعملون ــ فى صمت ــ لاعلاء كلمة اللغة العربية ٠٠ والمحافظة على التراث العربى الاصيل ٠٠٠

(ولويس ماسينيون) كما يقول د٠ عبد الرحمن بدوى فى جريدة الاهرام فى عددها الصادر فى ١٦ نوفمبر عام ١٩٦٢ ٠٠ (الملحق الادبى) :

« لقد كان (لويس ماسينيون) .. شعاعا كونيا ظل يضيء فى عالم الاستشراق قرابة ستين عاما .. قضاها فى التنقيب عن كنوزالتراث الروحى العالمى الاسلامى واستكناه أسرار أقطابه الروحية...فكان « حلاج » اسرارهم .. كما كان شيخه وصاحبه الروحى الذى لازمه طوال حياته (حلاج) أسرار اللاهوت .

والحقيقة ان ماسينيون لم يقصر نشـــاطه على التصوف .. بل اتسع فشمل جوانب عديدة يذهل الدارس لحياته منشمولها .. مع تعمقه الكامل لكل ما طرقه من مسائل ...

وقد كرس نفسه لدراســة (الحلاج) ودراسة مذهب الشيعة وما تفرع عليه من مذاهب غريبةمثل القرامطة والاسماعيلية ... فكتب أول ماكتبسفرا عن « عذاب الحلاج والطريقة الحلاجيـــة » فى عام ١٩٠٩ .. ونشركتاب « الطواسين » عام ١٩١٣ .. وهو الكتاب الكامل الوحيد الباقى لنـا بقلم الحلاج ... ثم تمخضت هذه الدراسات عنكتابه الرئيسى الضخم الذى نشره عام ١٩٦٣ فى مجلدين بلغا أكثر من الف صفحة بعنوان (عذاب الحلاج ... الشهيد الصوفى فى الاسلام ..) وكان رســـالته الاولى للحصول على الدكتوراه .. اما الرسالة الثانية فكانت (بحثا فى نشأة المصطلحالفنى للتصوفالاسلامى..)

ونحن لا ننسى له اهتمامه البالغ باللغة العربيـة .. تركيبها .. عبقريتها .. وامكانياتها التعبيرية والنظمية ومكانتها بين اللغات العالمية ... ودورها فى الحياة .. بوصفها — كما يقول — لغة الحضارة من الطراز الأول ... ولغة مقدسة لا نظير لهـا بين اللغات السامية ...

ونحن لا ننسى له أيضا أنه قرر على تلاميـذه فى فرنسا موضوع (المجاميع اللغوية وخدمتها للنهضة العربية ..) وقال عن ذلك :

(وقد وجدتأنا وتلاميذى أن مجمع اللغةالعربية قد أدى خدمة جليلة لمساعدة النهضة الثقافية ... واللغة العربية) ...

ملوى — فاروق يوسف اسكندر

نقد أم قصاص ؟

خيل الى وأنا أطالع مقال الدكتـــور أحمد كمال زكى بالعدد (١٠٣٢) من الرســالة الذى كتبه تحت عنوان « الاتصال بالقديم فن » أن بينه وبين صاحب مقالات « أبو تمام والتجديد » التى صدرت تباعا فى نفس المجلة ثاراقديما أو عداء شخصيا؛وقد سنحت الفرصة بصدور هذه المقـــالات ليقتص من الكاتب ويتشفى منه .

وليسمح لى الدكتور أحمد كمال بأن اقول له : حقا انه كان يحمل فى نقده «قفاز الملاكم» كما وصفه غريمه اذ حمل على صاحبه حملة قاســـية عنيفة ؛ وأضفى على نقده طابع التهجم والتهكم والاستخفاف بجهودالكاتب ؛ ولم يسر فى طريق النقد البناءالذى يهدف الى البحث ويسعى وراء الحق ويتسلح فيـه الناقد بروح رياضية وخلق رفيع—كما يقول الاستاذ محمد عبد الله السمان فى نفس العدد من الرسالة— فيأتى نقدهمهذبا رقيقا يتقبله المنقودويسيغه القارىء ولقد كنا — معشرالقراء والناشئين — ننتظر من ناقد كالدكتور احمد كمال أن يرعى أصـــول النقد التى ينادى بها اساتذتنا — وهو منهم — حتى نطمئن الى أن ما نسمع منهم وما نقرأ لهم حـول النقد الهادف النزيه هم أسرعالناس الى تحقيقه وتطبيقه . فيكون لنا منهم قدوة حسنة ؛ وتوجيه طيب الى التعاون فى مجال البحث العلمى حيث تتعاطف جهود الباحثين والكاتبين .

اما ان يأتى النقد على هذه الصورة من الجفاف فى الاسلوب ؛ والتهوين من قدر الكاتب ؛ والاستعلاء عليه ؛ واتهامه بقصور الادراك ؛ وقلة الاستعداد لما يخوض فيه فذلك ما نعتقده خروجا عن سـنة النقد المحمود ؛وانحرافا به عن موضوعيته الىذاتية بغيضة معيبة توحى بضعفه ، وتقلل من قيمة ماأورده الناقد وان كان حقا اذ يظن القارىء أن الناقد لم يصدرعن الحق ولم يهدف الى بيان الصواب .

وبعد . فلستبهذه الكلمة أقف بجانب الدكتور عبد الرحمن عثمان متحيزا له فليست هناك صـلة تربطنى به من قريب أو من بعيد . وغاية ما هنالك أننى كنت منشهود « الحادث » ومن نظارة المعركة. فأحببت ان اقول كلمتى حسـبة لوجه الحق .. ولوجه الحق وحده .

شفيع السيد

كلية دار العلوم — جامعة القاهرة

أخبار علمية وأدبية

● تعقد ندوة نادى القصة فى السابعة من مساء الاربعاء ١١/١٢/١٩٦٣ لمناقشة رواية «لاشىء يهم» لاحسان عبد القدوس — يشترك فى المناقشة الدكتورة سهير القلماوى — الدكتور رشاد رشدى — الاستاذ يحيى حقى — الاستاذ عباس خضر — الدكتور عز الدين اسماعيل — الاستاذ فؤاد دوارة .

● فاز بجائزة الدولة التقديرية فى العلوم عن هذا العام كل من الدكتور سليمان عزمى الذى يعتبر عميدا للاطباء كان وزير للصحة وعميدا لكلية الطب ورئيسا للجمعية الطبية المصرية . والمهندس عبد الرحمن الساوى الذى كان عميدا لكلية الهندسة منذ ربع قرن ، ويلقب بأبى المهندسين .

هذا وسوف يتسلم الفائزان جائزتيهما فى عيد العلم يوم ١٦ ديسمبر القادم ، والجائزة قدرها ٢٥٠٠ جنيه وميدالية ذهبية قيمتها ٣٠٠ جنيه .

● أطلقت فرنسا قطة فى صاروخها فيرونيك . وقد استطاع الخبراء استعادة القطة عقب هبوطها بالمظلة الواقية من الصاروخ . وقد تمكن الباحثون من تتبع الصاروخ فى أثناء تحليقه والتقاط الخط البيانى للتيارات التى انطلقت فى راس القطة أثناء رحلتها ، والغرض هو معرفة تأثير بيئة الفضاء على الكائنات الحية .

● تعقد الجمعية الادبية (٣ ش قولة عابدين) ندوتها فى مساء الثلاثاء القادم لمناقشة موضوع « احياء التراث » يشترك فى المناقشة الاستاذ أمين الخولى والدكتور حسين نصار، والدكتور أحمد كمال زكى والاستاذ عبد العزيز الدالى ويقدم الندوة الاستاذ محمد عبد الواحد .

● منحت جمعية أصدقاء الكتاب جائزتها هذا العام مناصفة بين الاديب اللبنانى المعروف الدكتور سهيل ادريس ، والأديبة اللبنانية اميلى نصر الله ، هذه الجائزة قدرها ثلاثة آلاف ليرة لبنانية .

ومن الجدير بالذكر أن الأديبة اللبنانية نالت أيضا جائزة الشاعر سعيد عقل وقدرها الف ليرة عن قصتها « طيور أيلول » التى ترمز بها الى الهجرة من القرية .

● نجحت مضخة صناعية فى أداء عمل القلب عند رجل فى الثانية والاربعين من عمره ، واطالة حياته مدة أربعة أيام . وفقا لتقرير تلى فى الجمعية الامريكية لأمراض القلب . كما تليت فى الاجتماع تقارير أخرى عن قلوب صناعية احتلت مكان القلوب الصناعية فى الكلاب فعاش بعضها مدة سنتين .

وفى التقرير الاول كان المريض يعانى سكرات الموت ولكن الجراح « ميشيل ديباكى » من جامعة بايلور جعل قلبه يستأنف نشاطه باستخدام أنابيب من البلاستيك ومضخة كهربائية صغيرة .

● تكونت جمعية ادبية فى كل من القاهرة والاسكندرية وملوى أطلق عليها (جمعية الطليعة العربية) هدفها رعاية الادباء الناشئين لاتاحة الفرص لهم لنشر انتاجهم ، وتوثيق الصلات بين البراعم الادبية فى العالم العربى ، وسوف تصدر جمعية الطليعة العدد الاول من مجلتها فى أول العام القادم ان شاء الله .

● صار من الامور الميسورة تسجيل برامج التليفزيون من صور وأصوات من لوحة اذاعته بالمنازل وذلك بمعونة جهاز جديد ابتكرته احدى الشركات البريطانية واطلقت عليه اسم « تلكان » .

وهو يعمل بشريط مغناطيسى سمكه ربع بوصة كشريط تسجيل الاصوات . ويمكن ازالة التسجيلات التى ترصد عليه .

● قدم الى القاهرة الاديب الحجازى الاستاذ عبد السلام هاشم للاشراف على طبع كتابه الذى اختارته له وزارة الثقافة والارشاد القومى ضمن مطبوعاتها .

هذا الكتاب دراسة عن الرافعى ومى ، وسوف يصدر خلال هذا الشهر .

● اتصلت بعض الجهات الرسمية بالأستاذ ساطع الحصرى واستأذنته فى طبع كتبه فى القومية العربية فاعتذر بأنه مرتبط بدور النشر فى لبنان فاتفق معه على تلخيص هذه الكتب تلخيصا وافيا لينشر بعنوان: (المختار من كتب ساطع الحصرى فى القومية العربية) وستقدم المجموعة الاولى فى أول يناير القادم وستبلغ صفحاتها زهاء خمسمائة صفحة .

قصة العدد

رجولة

للأستاذ كمال نشأت

كان يسير مترنح الخطوات ، يتخبط فى ازقة حى « راس التين » يسلمه جدار بيت الى جدار بيت آخر ، ورائحة الخمر الرخيصة تفوح من فمه الذى تجرع منها اشتاتا والوانا ، واسلمه السكون الشامل الى تفكير عميق ، فادار فى راسه ماسمعه فى الحانة وعادت الى ذهنه كلمات «متولى» وهو يقولها فى لهجة مسيطرة وصوت يدل على قوة الشخصية ، فقد كانوايتحدثون عن فساداخلاق النساءوالانحلال الذى دب فى البيوت نتيجة التطور الذى مس الحياة وكان رايهم ان النساء اصبحن الحاكمات الناهيات فى شئون الاسرة وان الرجال اصبحوا يعيشون على الهامش ..

ووثبت الى ذهنه كلمات «متولى» النارية :

« الله يرحم اهل زمان .. كانت الست من دول لاتستطيع ان تفتح عينها فى وش جوزها .. سيبك المودة وخروج النسوان بره هما اللى غيروا الاخلاق .. لكن الحمدلله .. محسوبكم اول مايدخل البيت مفيش حس .. كلهم سكوت .. يقدر واحد يرفع صوته أو يتنفس ·· هات القبقاب يا ولد ·· يحضر الولد القبقاب ·· هاتى الفوطة يا بنت ·· تحضر البنت الفوطة .. تقدر مراتى تسالنى كنت فين ؟ كنت قاعد مع مين ؟ انت كنت سكران امبارح .. ابدا .. المهم ياجماعة حماشة الراجل فى بيته .. »

انه يذكر هذه الكلمات .. يذكرها جيدا لان متولى نظر اليه بعد ذلك ثم قهقه ساخرا وهو يضرب كتفه بيده القوية حتى ارتج به الكرسى وقال : وانت ياجوكر — وكان الاسم الذى يطلقونه عليه — اظن مراتك ستضربك علقة زى كل يوم ..

وقهقه الجميع ساخرين .. ولكن هذه السخرية لم تترك فى نفسه اثرا فقد تعودها بعد ان سمع امثالها كثيرا . فهو لايستطيع ان يعيش الا اذاتحمل هذه الاهانات ، فليس لديه عمل يعينه على كسب قوت هذه الافواه الستة التى تنتظره فى المنزل .. ولولا كرم معارفه من رواد الحانة لهلك جوعا .. وهو فى نفس الوقت لايخسر شيئا .. فكل مايقدمه اليهم هو خدمتهم وهم يشربون ... وقد يذهب خارج الحانة لشراء علبة سجاير .. فان لعبت الخمر برؤوسهم لا يعدم من يصفعه على قفاه او يركله بقدمه اثارة لضحك زملائه ، وهو كثيرا مايرقص — اذ طلبوامنه ذلك — على توقيع تصفيقهم ويحدث ان يجذبه أحدهم من سترته وهو يرقص فيقع ككومة من الخرق فوق الارض .. حتى اذا قام بعد محاولات وجهد دفعه أحدهم ليقع مرة اخرى .. فيتعالى الضحك .. وتدمع العيون وتضرب الاقدام الارض فرحا وسعادة .

انه لا يهتم بكل ذلك ، لان حياته قد نسجت على هذا المنوال ، فهو عاجز لايستطيع ان يقوم بعمل ما .. كسول لايقوى على الكدح فى سبيل قوته .. مدمن للخمر لايستطيع عنها فراقا ، وقد اعتادت معدته الوان الخمر جميعا .. فهو فى كل ليلة لايعدم زبونا يعرفه يدفع اليه بكاس وحفنة من الفول النابت ..

وتتكرر هذه الكئوس .. وهكذا كان جوكر يعيش ..

ولولا رحمة (مانولى) صاحب الحانة لتسكع فى الطرقات متسولا ولكنه على اية حال لايقبل كرم مانولى دون شىء يقابله .. فهو يمسح الارض وينظف الحانة ويقضى بعض مطالبه ان كان فى حاجة الى شىء من السوق ...

حتى اذا ظهرت تباشير الصباح ، عاد الى منزله ثملا تتلقفه جدران المنازل فتلقاه زوجته بوجه غاضب ولسان لايكل ..

وآه من لسانها .. ان الشتائم الموجعة تنهال عليه منه كما يتهال الرصاص من المدفع الرشاش. لقد احتملها كثيرا .. كثيرا .. ولكن لا .. لقد احالت حياته جحيما .. انه لن يصبر بعد اليوم على صراخها وعويلها وتهكمها المرير به وبضعفه وعجزه وادمانه .. ومن يعولها ويعول اطفالها ؟ اليس هو الذى يطعمها ويطعم شياطينها الستة .. صحيح انه عاجز عن العمل ولابد ان يعود الىمنزله ومعه ما يسد رمقهم ·· انه رجل البيت وحاكمه الذى يجب أن يتصرف فيه كما يشاء .

يجب ان تصمت هذه الزوجة السليطة اللسان .. ويجب ان يرهبه اولاده جميعا .. فلن يسمح بعد اليوم ان يتغامز اولاده امامه ضاحكين حينما يصطدم بالطبلية عند دخوله الحجرة .. سيعلم هذه المراة كيف تبلع غضبها وتصبر على مايريده هو .. كفاه صياحا وعويلا وزراية ..

أهو الوحيد الذى يشرب الخمر دون اهل الحى جميعا ؟ هل نسيت هذه الزوجة المنكرة للجميل جارهم احمد المرزوقى الذى ادمن الخمر بعد طرده من الشركة التى يعمل بها فترك ابناءه الاربعة دون ان يذكرهم بعليم واحد .. وسافر الى بلد آخر .

وعادت الى ذهنه كلمات متولى الشارية :

« محسوبكم أول مايدخل البيت .. مفيش حس كلهم سكوت .. يقدر حد يرفع صوته .. او يتنفس .. هات القبقاب ياولد .. يحضر الولد القبقاب .. »

اجل .. هات القبقاب ياولد .. يحضر الولد القبقاب ، فلا تغامز .. ولا ضحك .. ولا سخرية .. وممن ؟ من ابيهم الذى يعولهم !. ياخيبته وغفلته كيف سكت طيلة هذه الاعوام على حياته هذه .. وكيف يرضى أن يكون رجلا تافها فى نظر زوجته واولاده .. ان كان رواد الحانة يسخرون منه ولايحفظون كرامته فهذه وسيلته التى يعيش منها ويعيش اطفاله .. لا .. ينبغى ان يضع لذلك حدا ، انه رجل البيت وحاكمه المطاع ...

وضرب الباب بقدمه ضربة قوية رنت فى السكون الشامل . وصاح فى لهجة آمرة (افتح ياواد يااحمد .. افتح الباب) ووقف صامتا ينتظر .. ومرت لحظات قبل ان تمد امراته راسها من فرجة الباب وفى يدها مصباح ترتعش ذبالته ، فقال قبل انتفتح فاها بصراخها المعهود « اوعى تتكلمى .. ادخلى وليه قليلة الحيا .. انا راجل البيت ارجع زى مايعجبنى .. بالليل .. بالنهار .. انا كنت ساكت لك .. انما ملقيتشىعندك ريحةالدم ... سكران؟. سكران .. حد عايز منى حاجة .. انا باسكر بفلوسى مش من عزبة ابوك .. »

كان يتكلم بصوت مرتفع آمر مستبد ، وزوجته تغلق الباب فى دهشة .. فقد مرت سنوات وهو يتحمل اهاناتها وتوبيخها ولكن الليلة .. لطالما حدثتها نفسها أن ترد عليه وتجعل ليلته طحينة ..

ولكنها تذكرت أنه مرة ضاق بمشاكستها فخرج غضبان ساخطا .. ولم يرجع الا بعد اربعة أيام ذاقت خلالها الهوان .. لانه أبى أن يرسل اليها نقودا ، فسكتت على مضض لانه حرمها هذه المرة من التنفيس عن سخطها بتقريعها له .

ودخل «جوكر» الحجرة وابصر امامه كوزاضربه ضربة القت مافيه على الارض .. واستيقظ اولاده على صوت هذه الضربة فزعين ، فبدنا من ركنهم المعهود حيث ينامون على الحصير ونظر اليهمغاضبا وهو يقول :

« نايمين .. لازم تناموا .. مش باشتغل انا واطفح الكوته .. »

ثم جلس على حافة الكنبة العتيقة فأرسلت صريرا طويلا .

وقال فى لهجة حاسمة : بنت يافاطمة قومىولعى البابور واعملى لى الشاى .. وانت واد ياوش النحس .. روح اشتر لى حتة جبنة .. وانت ياوليه .. واقفة كده ليه زى التمثال .. غسلت القميص بتاعى ؟

فاجابت الزوجة فى غيظ مكبوت : لأ .

فصاح غاضبا : امال بتعملى ايه .. اغسليه دلوقتى .. دلوقت حالا ..

وسرعان مادبت الحركة فى الغرفة .. امراته تغسل القميص وابنته تصنع الشاى .. وابنه نزل ليرى ان كان هناك بقال مازال فاتحا دكانه فى هذه الساعة ..

وحينما احس جوكر ان الجميع قد اطاعواأوامره دون شكاية .. او صراخ او احتجاج .. جلس هادئا تعلو وجهه ابتسامة الرضا .. سعيدا بهذه الشخصية الجديدة التىايقظها فى نفسه .. مغتبطا لهذا الشعور السار الذى احس به .. فهنا اناس يحترمونه .. يلبون نداءه ، ويطيعون اوامره بلا سخرية .. ولا ضحكات ولا صفعات ...

انها .. رجولة .. بطولة ..

وابتدا النوم يداعب اجفانه وانيا .. هادئا .. فنام فى مكانه وعلى شفتيه ابتسامة لم ترها زوجته على فمه منذ سنين . وعندما قامت لتخلع له حذاءه فى حذر حتى لا يستيقظ تحركت يده قليلا وهتف فى صوت حالم سعيد :

«هات القبقاب ياولد .. يحضر الولد القبقاب».

كمال نشات



الدار القومية للطباعة والنشر